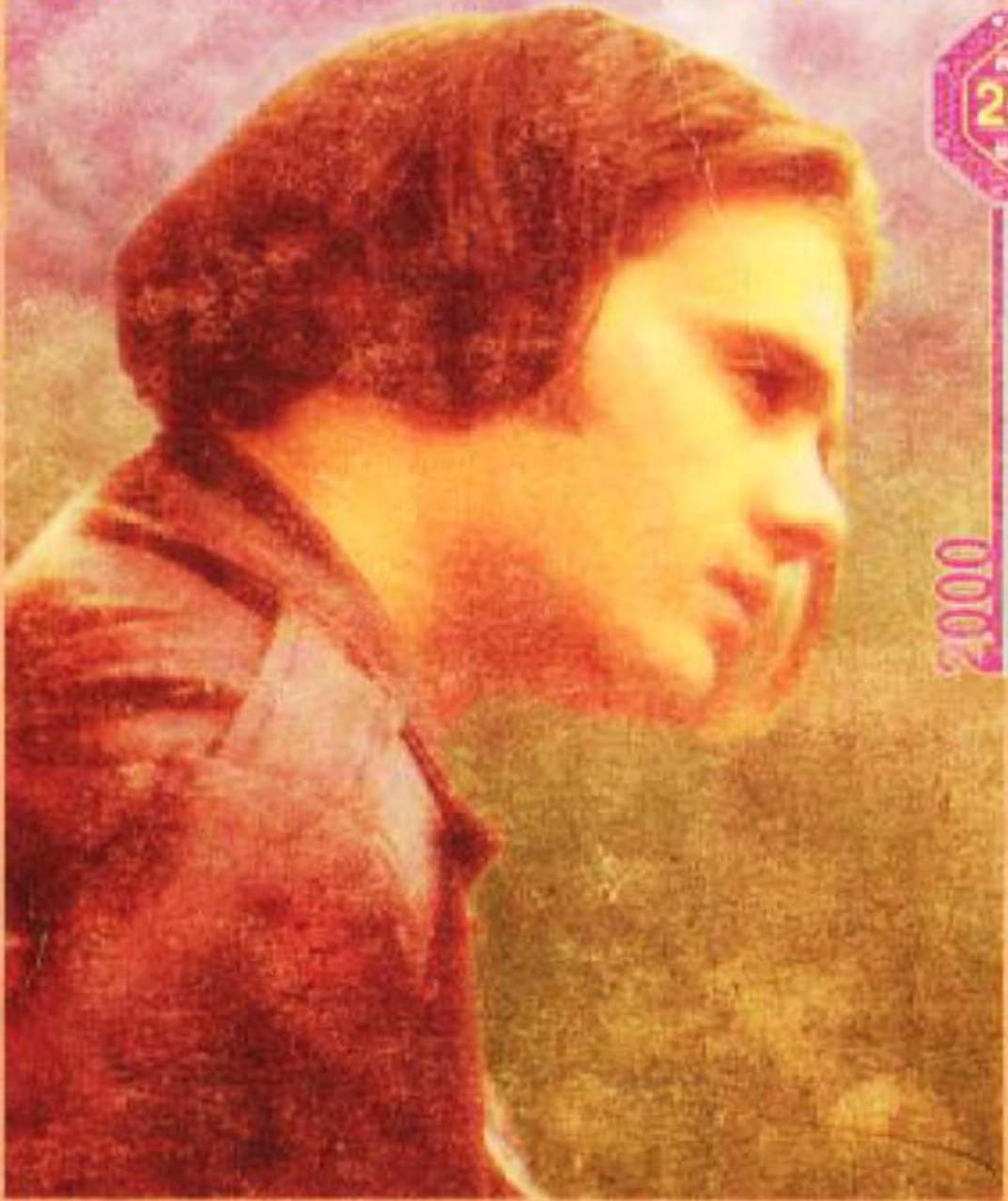


منتدي مكتبة الاسكندرية



2000

منتدي  
مكتبة  
الاسكندرية

دavid كوبفيلد

# دافيد كوبرفيلد

## المؤلف

تتميز جميع أعمال تشارلز ديكنز ، الأديب الإنجليزي العظيم ، بحلوّة الأسلوب السهل الجذاب ، الذي يشد القارئ من بداية العمل حتى نهايته ، كما تتميز بالحبكة الروائية التي تجعل القارئ يحس بطعم « الحدوة » . ولهذا فقد اشتهر ديكنز بأنه الأديب الذي يحبه بسطاء العالم . ذلك لأن جميع أعماله الأدبية معروفة ومحبوبة لدى قراء الأدب في جميع أنحاء العالم ، بعد أن تمت ترجمتها إلى أكثر من خمسين لغة من اللغات التي تتكلّمها الشعوب المختلفة .

---

تأليف: تشارلز ديكنز  
ترجمة: مختار السويفي  
مراجعة: محمد العزب موسى

وتتجلى عظمته في أنه بالرغم من هذا الشقاء الذي كان يعانيه في طفولته ، فقد كان ينتهز أوقات فراغه من عمله الشاق ، وينكب على القراءة والاطلاع على الكتب .. كما كان يحرص على التجول وحيداً في الأحياء الفقيرة بمدينة لندن ، حيث يعيش الناس حياة بائسة ، خارجة على القانون في أغلب الأحوال .

وفي العديد من قصصه وروياته ، وصف ديكنز هذه الأحياء الفقيرة بكل تفاصيلها وبكل المأسى التي كانت تدور فيها .

وعندما وصل إلى سن العشرين ، تمكنت الأسرة من الحاقه باحدى المدارس ليكمل تعليمه ..

وفي نفس الوقت كان يعمل مراسلاً لأحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع قليل . وقد تلقاني في هذا العمل الصحفي الذي كان بمثابة تمرين له على حرفة الأدب .

كذلك فقد أتاح له هذا العمل الصحفي أن يتأمل مستطاعاً في أحوال الناس على مختلف مستوياتهم

ولد تشارلس ديكنز في « لاندبورت بورتسى » في إنجلترا سنة ١٨١٢ .. وعاش طفولة بائسة ، لأن آباء كان يعمل في وظيفة متواضعة ويعول أسرة كبيرة العدد .

ولهذا فقد اضطر لترك المدرسة وهو لم يزل صبياً صغيراً .. والحقوه بعمل شاق بأجر قليل حتى يشتراك في اعالة الأسرة .

وكانت تجارب هذه الطفولة الشقية ذات تأثير عظيم في نفسه ، وترك انطباعات إنسانية عميقة في حسه ووجوداته .

وقد كتب تشارلس ديكنز عن هذه الانطباعات والتجارب المزيرة المؤلمة التي مر بها أثناء طفولته .. في العديد من قصصه وروياته التي ألفها عن أبطال من الأطفال الصغار الذين عانوا الكثير من العذاب والضياع بسبب الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت سائدة في إنجلترا في عصره .

الاجتماعية والأخلاقية ، فخرج بالعديد من التجارب الإنسانية التي وسعت من آفاقه وحسه الأدبي .

وفي سن الرابعة والعشرين ( سنة ١٨٣٦ ) أصدر تشارلس ديكنز أولى رواياته الأدبية « مذكرات بيكونيك » . وقد لاقت هذه الرواية نجاحاً ساحقاً ، وجعلته من أكثر الأدباء الانجليز شعبية وشهرة .

ثم ازدادت شهرته في إنجلترا وخارج إنجلترا عندما صدرت رواياته العظيمة الأخرى تباعاً ..

ولقد حرصنا منذ بداية ظهور هذه السلسلة من « روائع الأدب العالمي للناشئين » أن نقدم لك يا عزيزي القارئ أعمال هذا الأديب العظيم الصادق الذي امتلا قلب بالمشاعر الإنسانية ومواساة البائسين والمعدبين في الحياة ، والذي تتفجر رواياته بأسلوب سهل بسيط ، بكل ما في هذه الحياة من الم وأمل ..

وعلى هذا فاذا كنت تريدين معرفة المزيد من المعلومات عن تاريخ حياة هذا الأديب العالمي الشهير .. وتريدين في

الوقت نفسه أن تستزيد من الاستمتاع بأعماله . فتعال معنا إلى أعماله التي أصدرناها لك ضمن هذه السلسلة . وهي :

- أوليفر توينيت .
- الآمال الكبرى .
- حكاية مدینتين .
- دافيد كوبيرفيلد .
- أوقات عصبية .
- مذكرات بيكونيك .

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته في كتابة المقالات وتأليف القصص والروايات والقاء المحاضرات وكان يدعو باستمرار في غالبية هذه الأعمال إلى ضرورة الاصلاح الاجتماعي ، وإلى تدعيم المؤسسات الخيرية والصحية ، التي ترعى الفقراء من الناس .  
وأمن تشارلس ديكنز بأن جميع الأحوال السيئة

قابلة للإصلاح . ولهذا فقد سخر قلمه البليغ للدعوة إلى تخلص المجتمع البشري مما يحيط به من شرور وأوضاع اجتماعية غير عادلة .

وفي سنة ١٨٧٠ مات تشارلس ديكنز بعد أن ترك للانسانية هذا الكنز الهائل من الأعمال الأدبية العظيمة .

« المترجم »

الجزء الأول

البيت

## ١ - گيف كان مولدى

اسمي دافيد كوبيرفيلد .. وهاندا اكتب لكم قصة  
حياتي ..

ولدت فى بلاندرستون . وقد مات أبي قبل مولدى  
بفترة قصيرة .

وفى احدى الأمسىات ، كانت أمى جالسة قرب  
نار المدفأة ، وكانت حزينة على مصيرها ومصير طفلها  
اليتيم البائس .

ولاحت أمى مس بيتسى وهي تسير خارج سور



مس ترتوود .

٤٩

الحديقة . وكانت مس بيتسى تسير متهملة تجاه باب البيت . وبدلا من أن تدق الجرس ، دست أنفها لتنظر إلى داخل البيت من خلال النافذة .

ومس بيتسى هي عمة أبي ، ولذلك فقد كانت تعتبر بالنسبة لى عمتى الكبرى . وكان اسمها الحقيقي مس بيتسى تروتورد . وكانت تعيش مع خادم واحد فى كوخ متواضع جوار البحر . وكانت قد تزوجت من قبل ، ولكن زوجها كان رجلا سيئا ، لذلك فقد طردته .

وكانت عمتى على علاقة طيبة مع أبي . ولكنها غضبت عليه حين تزوج أمي . وكانت عمتى تدعوها دائما باسم « اللعبة الغبية » . ولهذا السبب تشاجرت مع أبي ولم تلتقي به بعد ذلك أطلاقا .

وعندما رأت أمي مس بيتسى تروتورد وهي تطل من خارج النافذة ، قامت بسرعة وفتحت باب البيت لاستقبالها .

— ألسنت أنت مسرز كوبريفيلد ؟

٤٨

قالت أمي :

- أه .. خادمتى اسمها بيجوتى .

فcameت مس بيتسى باستدعاء الخادمة ، وطلبت منها احضار بعض الشاي .. ثم التفت الى أمى وقالت لها :

- نعود الى الحديث عن الجنين الذى مازلت تحملينه .. أنى أرغب فى أن يكون انشى .. ولابد أن يكون انشى .. وأنا أطلب منك أن تطلقى عليها اسم « بيتسى تروتورد كوبريفيلد » .. وأعدك بأن أكون صديقة لها .. وعلى فكرة ، هل تعرفي شيئاً عن الطبع وامساك الحسابات والاشراف على ادارة منزل !؟

قالت أمى :

- لا أعرف كثيراً عن ذلك .. ولكنني أرغب فى تعلم هذه الأشياء .

ثم شرعت أمى فى البكاء مرة أخرى .. فقالت عمنى :

قالت أمى :

- نعم .. أنا هي .. تفضل بالدخول ..

ودخلت مس بيتسى .. وجلست السيدةتان معاً .. ثم بدأ أمى فى البكاء ، فاستمعت مس بيتسى وقالت لأمى :

- أوه .. أوه ! .. لاتفعلى ذلك ! ..  
ولكن أمى استمرت فى البكاء .. وعندئذ وضعت مس بيتسى يديها برفق حول وجه أمى ، وقالت لها برفق :

- يبدو أنك مازلت طفلة صغيرة .. يجب أن تتناولى بعض الشاي .. ما اسم البنت ..؟!

قالت أمى :

- لا أعرف أن كنت حاملاً فى ذكر أم انشى ..  
- أقصد البنت الخادمة التى تعمل عندك ..

**وعندئذ قال الطبيب :**

ـ آه .. لقد ولدت ذكرا !

ولم تنطق عمتى بكلمة واحدة . ولكنها هبت واقفة  
واسرعت بالخروج من البيت .. ولم تعد اليه بعد ذلك  
أبدا .. وهكذا كان مولدى .. أنا دافيد كوبريفيلد !

ـ كفى عن البكاء .. حتى لا تمرضى وحتى لاتتأثر  
بعرضك الطفلة التي ستلدينها .

وعندما أحضرت الخادمة بيجوتي الشاي ..  
لاحظت ان أمي متعبة ، فذهبت على الفور لاحضار  
الطبيب . وبمجرد وصول الطبيب ، وكان اسمه  
مستر شيليب ، صعد على الفور الى غرفة أمي .

ومررت عدة ساعات الى أن ظهر الطبيب مرة  
أخرى نازلا على السلم . فأسرعت اليه عمتى وسالتنه في  
لهفة :

ـ هاه يادكتور .. كيف حالها ؟

**فقال الطبيب :**

ـ مسز كوبريفيلد في حالة طيبة :

ـ ولكنني اسأل عن حال المولودة ..

كذلك منظر البيت من الخارج ، حيث كانت تبدو نوافذ غرفة النوم .. وكذلك اذكر منظر حديقة البيت والسور المرتفع الذى كان يحيط بها . وفي تلك الحديقة كانت هناك مجموعة من أشجار الفواكه . ومازالت اذكر كيف كانت أمي تقوم بجمع الثمار فى سلة كانت تحملها .

وكنت أنا وأمى نخشى قليلاً من الخادمة بيجوتي وفى أحدى الأمسىات كنت جالساً مع بيجوتي فى غرفة المعيشة بجوار المدفأة .. وكانت اقرا لها أحد الكتب .. وكانت متعباً لدرجة أنى لم أعد قادرًا على الاحتفاظ بعينى مفتوحتين .. ومع ذلك فقد كنت الاحظ ابرتها وهي تدخل فى القماش وتخرج منه فى حركات رتيبة . وتطلعت عندها الى وجهها .. وكانت تبدو فى نظرى جميلة .

وسائلها فجأة :

- بيجوتي .. هل تزوجت من قبل .. ؟

فردت بسرعة لفت انتباھي :

## ٢ - وبدأت أدرك الأشياء

ومن الذكريات المبكرة التي مازالت اتذكرها وجه أمى وشعرها الجميل .. أما بيجوتي الخادمة فلا اتذكر من ملامحها سوى عينيها السوداويتين وخدودها الحمراء مثل لون التفاح .. وإنكر المطبع والدجاج الكبير الذى كان يجري فى حوش البيت . وكانت الدجاجات تبدو لي فى تلك الأيام كما لو كانت أضخم مني ..

ومازلت اذكر غرفة المعيشة والجلوس ، حيث كانت أمى وبيجوتي تجلسان فى كل مساء .. ومازالت اذكر



وانحنت امی وقبلتني . وعندئذ قال الجنتلمن :  
 - ياعزيزى الصغير .. کم انت محظوظ !  
 ثم وضع يده على رأسى ، فوضعت يدى على يده  
 وأرحتها .  
 فقال الرجل وهو يقبل يد امی :  
 - ان حبه لك لا يذهبنى !  
 ولكن أصبت بالدهشة وغضبت من ذلك . ولكن  
 الرجل حياني قائلاً :  
 - تصبح على خير ياعزيزى الصغير !

فربدت تحيته ، ولكنی لم أسلم عليه يدا بيد .  
 وعندما استدار لينصرف التفت الى .. وكان يبدو  
 النسبة لى رجلا سبعاً المنظر . ولم أشعر نحوه بأى  
 حساس من الحب .  
 وذهبتنا الى غرفة العيشة . وقالت بيجوتوى القى  
 كانت تقف منتصبة في وسط الغرفة :

- وماهى وجهة نظرك انت يابيجوتوى ..  
 وتمهلت بيجوتوى قليلا قبل أن ترد :  
 - وجهة نظرى هي أن تستمر فيما كنت تقرأه ..  
 ولاحظت عندئذ أن صوتها كان يبدو غريبا . فنظرت  
 اليها مستعطفا . وقلت :  
 - المست غاضبة مني يابيجوتوى ..  
 فقامت على الفور ، وقبلت جبهتى وقالت :  
 - لا ياعزيزى .. ولكن أرغب فى أن تسمعنى  
 الكثير عن تلك الأشياء التي كنت تقرأها لي ..  
 وعلى هذا ، فقد واصلت القراءة ..  
 وبعد فترة سمعنا جرس الباب ، فذهبنا لتفتحه ..  
 كانت أمي تبدو في غاية الجمال . وقد عادت الى البيت  
 ومعها رجل كنت قد رأيته من قبل .. انه الجنتلمن  
 الذى أوصلها الى البيت عندما خرجت من الكنيسة يوم  
 الأحد الماضى .. وكان اسمه : مسٹر مارستون ..

**فصاحت أمى :**

ـ أوه .. انك تدفعينى الى الجنون .. كيف تجسرين على الحديث معى بمثل هذه القسوة ؟ .. انت تعرفي تماما انى بدون أصدقاء يهتمون بي او اهتم بهم !

**قالت بيجوتى على الفور :**

ـ هذا هو السبب فيما أحدهك فيه .. لا يجب ان تفعل ذلك .. لا يجب .. !

ـ وماذا أفعل اذا كان البعض يحبوننى .. انى لا استطيع أن أصده .. ولا استطيع أن أجعل من نفسي امراة قبيحة .. !

**وأتجهت أمى نحوى وهى تقول بعطف :**

ـ عزيزى دافيد .. انها تقول انى لا احبك .. !

**فصاحت بيجوتى قائلة :**

ـ انى لم أقل ذلك اطلاقا !

ـ أرجو ان تكونى قد أمضيت امسية طيبة يامسر كوبرفيلد ..

**قالت أمى :**

ـ شكرًا لك .. كانت امسية طيبة جدا .. !

**وقالت بيجوتى :**

ـ ان رؤية الغرباء أمر يبعث على السرور فى بعض الأحيان ..

**قالت أمى بارتياح :**

ـ تماما .. !

وجلست على أحد المقاعد ، وسرعان ما استفرقت فى النوم .. ولكنى سرعان ما تنبهت مستيقظا مرة أخرى .. ورأيت أمى وبيجوتى جالستان .. ويدور بينهما حديث متواصل .. وكانت عيونهما مغروقة بالدموع .. وكانت بيجوتى تقول :

ـ ان مسiter دافيد كوبرفيلد لا يحب هذا الرجل !

النافذة ، ورأت أمي ومعها الجنتمان وما يسيران في الطريق .. وغضبت بييجوتي من هذا المنظر ، فأخذت تمشط شعرى بعنف وبطريقة ألمتني ..

وفي اليوم التالي ، أو ربما بعد ذلك قليلا .. طلبت مني بييجوتي أن أذهب معها لزيارة أخيها .. وكانت أمي آنذاك خارج البيت بينما كنت جالساً مع بييجوتي في غرفة المعيشة بجوار المدفأة ..

نظرت بييجوتي إلى وجهي عدة مرات . وكانت تقتح فمهما كما لو كانت تريد أن تتكلم ، ولكنها كانت تغلقها على الفور وتظل صامتة . ومع ذلك فقد قالت أخيرا :

- مستر دافيد .. هل ترغب في الذهاب معى لزيارة أخي في يارماوث .. ونبقي هناك لمدة أسبوعين ..

فقالتها :

- هل أخوك رجل طيب يا بييجوتي ..

- لا .. بل قلت .. قلت أنا أم سيدة بالنسبة لك يا دافيد ؟ .. هل أنا قاسية عليك أو غير شفقة بك .. أني أحبك يادافيد .. اليك كذلك ١٩ .. ثم بدأنا نبكي جميعا .. وذهبت إلى السرير وبدأت استفرق في النوم وأنا أحس بأن عيني مبللةتان بالدموع ..

وفي يوم الأحد التالي ، خرجت أمي من الكنيسة ومعها الجنتمان ، وأخذنا يتمشيان سوية صوب البيت .. وكان الرجل يريد أن يرى زهورنا المزروعة في حديقة البيت ، وطلب من أمي مستازنا في أن يقطف زهرة ..

وعاد الرجل إلى بيتنا بعد ذلك مرات ومرات .. وقد اعتدت على رؤيته ، ولكنني مع ذلك لم أكن أحبه ..

وفي صباح أحد الأيام ، كنت مع أمي في حديقة البيت حين وصل مستر مارستون راكبا على حصان .. وقال انه ينوى زيارة أصدقاء له موجودين في مركب شراعي بمنطقة اويستفت .. وارسلتني أمي إلى بييجوتي بالدور العلوى .. ومن هناك كانت بييجوتي تنظر من

وعندما تحركت العربة خارجة من البوابة .. جرت  
أمي خلفها ، وطلبت من السائق أن يتوقف لتمكن من  
تبيلى مرة أخرى ..

ونظرت خلفي .. فرأيت أنها مازالت واقفة على  
الطريق .. ثم رأيت مسْتَرْ مارِدِسْتُونْ وهو قائم  
نحوها .. وكان يبدو غاضباً عليها بسبب بكائها على  
فراقي .. !

- نعم .. انه رجل طيب .. وفي يارماوث سترى  
البحر والراكب والسفن والصيادين والرمال .. وهناك  
ولد صغير اسمه هام يمكنك ان تلعب معه !

وتساءلت :

- ولكن ماذا ستفعل أمي .. ؟

- أوه .. ستدعنا نذهب الى هناك .. وسأطلب  
منها ذلك بمجرد عودتها الى البيت .. أنها ستبقى مع  
مسْرْ جرابير ولن تكون وحدها ..

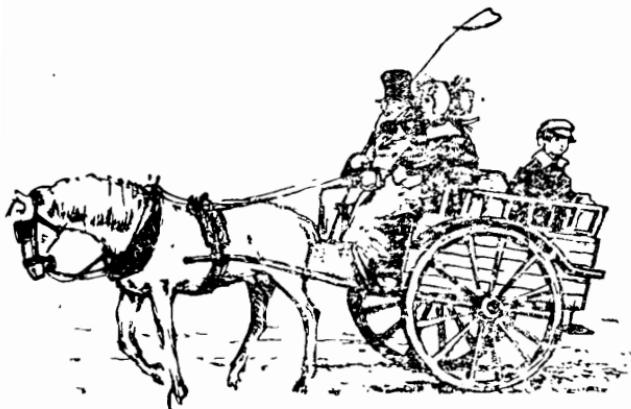
وهكذا تم ترتيب كل شيء .. ومرت أيام قليلة قبل  
أن يحل موعد مغادرتي للبيت .. وركبت أنا وبيجوتي  
عربة صغيرة مخصصة لنقل المسافرين وامتعتهم ..  
ومازلت اذكر حتى الآن كم كنت شغوفاً بمغادرة  
البيت .. وأحسست ساعتها كما لو كنت اغادره الى  
الأبد ..

واذكر تماماً كيف غمرتني أمي بالقبلات عند بوابة  
البيت .. وبدأت أبكي .. وبدأت أمي تبكي أيضاً ..

### ٣ - زيارة لمستر بيجوتى

كان الحصان الذى يجر العربة أكسل حمان فى العالم ، فقد كان يسير ببطء شديد وقد أحنى رأسه الى أسفل . وعلى طول الطريق كانت العربة تدخل الى بعض الحوارى الضيق لتسلم صندوقا فى أحد المنازل ، او تسلم سريرا فى منزل آخر .

وكانت الخادمة بيجهوتى تحمل على ركبتيها ربيطة بها الكثير من انواع الطعام .. وقد اكلنا حتى شبينا من الاكل ، ونمنا حتى شبينا من النوم . ولكن الرحلة



عربة السفر

التي يسكنها بناؤو السفن والراكب .. ثم البيوت التي يسكنها صناع الحبال .. ثم جميع البيوت وال محلات الأخرى التي يسكنها أو يعمل بها مختلف أنواع الصناع والحرفيين الذين يعملون في مختلف الأعمال والصناعات المتعلقة بالسفن .. وأخيراً وصلنا إلى مكان واسع مفتوح ، أرضه مغطاة بالرمال ..

وهنا قال هام :

- هاهو بيتنا يا دافيد ١٠٠

ونظرت إلى مختلف أركان المكان .. ولكن لم أر بيتك على الاطلاق .. ولم يكن هناك سوى مركب كبير أسود اللون ، تطل من أعلىه أنبوة من الحديد يخرج منها الدخان .. وفيما عدا ذلك لم يكن هناك أي نوع من أنواع البيوت في ذلك المكان . فتساءلت منهشا :

- هل تقصد هذا الشيء الذي يبدو كما لو كان قاربا !؟ ..

وقال هام :

كانت طويلة وشاقة ومجهدة .. وكم فرحت حين وصلنا إلى يارماوث ..

كانت ضواحي المدينة أراضي واسعة منبسطة .. وكان البحر يبدو واضحاً من خلال صفوف البيوت المتباشرة هنا وهناك وفي كل مكان ، لدرجة يصعب معها معرفة أين تنتهي المدينة ، وأين يبدأ البحر ..

وسارت العربية عبر شارع تفوح منه رائحة السمك ، ثم توقفت قرب حانة .. وعندئذ صاحت بيجوتي :

- هاهو هام .. كم أصبح كبيراً هذا الفتى .. ! وبالفعل كان فتى يافعاً ضخماً ، تطول قامته إلى نحو ستة أقدام ، ولكن وجهه كان يبدو كوجه طفل تعلوه خصلات من شعر مجعد ..

كان هام يقف خارج الحانة متظراً وصوابنا .. وسرعان ما حملني على ظهره وحمل صندوقى تحت ذراعه .. وحملت بيجوتي صندوقاً آخر .. وسرنا عبر عدة حارات أرضها مغطاة بالرمال .. وتجاوزنا البيوت

صغريرة خصبت لنومي .. كانت حجرة لطيفة تقع  
بمؤخرة القارب .. حوائطها بيضاء .. وفيها مراة  
محاطة بطار من أصداف القواع

وكانت رائحة السمك تملأ هواء البيت كلـه ..  
وأخبرتني بيجوتي أن أخاها يعمل في صيد القواع ..  
وقد استقبلتنا بداخل البيت سيدة في غاية الأدب  
اسمها مسـر جـاميـدـج .. كما كانت هناك بنت صغيرة  
اسمها أمـيلـى .. فـرتـ هـارـبةـ وـاخـبـاتـ عـنـدـمـاـ رـاتـنـىـ ..  
وـتـنـاوـلـنـاـ الطـعـامـ .. وـكـانـ سـمـكـاـ ..

ثم ظهر بعد ذلك رجل له شعر كثيف ولكن اللون  
يفضـىـ رـاسـهـ وـفـوـدـيـهـ وـخـديـهـ وـذـقـنـهـ .. وـقـامـ الرـجـلـ  
بنـقـبـيلـ بـيـجوـتـيـ بـحـرـارـةـ .. فـقـدـ كانـ أـخـاـهـ مـسـتـرـ  
بيـجوـتـيـ ..

كان رجلا طيبا .. وقال لي بصوت طيب :  
ـ مـوـحـبـاـ بـكـ عـنـدـنـاـ يـامـسـتـرـ دـافـيـدـ .. اـنـىـ فـخـورـ  
بـزـيـارـتـكـ لـنـاـ .. وـأـرـجـوـ أـنـ تكونـ سـعـيـداـ مـعـهـ (ـ وـأـشـارـ

- نـعـمـ .. هـذـاـ بـيـتـنـاـ !

لقد سرت كثيرا من منظر هذا البيت العجيب من  
الخارج .. فقد كان الباب يبدو مشـقـقاـ في جدار  
القارب .. كما شقت أيضا بعض فتحات تستعمل كنوافذ  
صغريرة في كل من جانبي القارب .. وكان أعلى مغطى  
بسقف من الخشب ..

وازداد سروري حين تأكـدتـ منـ أـنـ هـذـاـ الـبـيـتـ  
الـعـجـيبـ كـانـ قـارـبـاـ حـقـيقـياـ كـثـيرـاـ مـاـكـانـ يـمـخـرـ عـبـابـ  
الـبـحـارـ ، وـلـمـ يـقـصـدـ بـنـاؤـوهـ أـنـ يـسـتـعـمـلـ كـبـيـتـ فيـ أـىـ  
وقـتـ مـنـ الـأـوـقـاتـ .. وـمـعـ ذـكـرـ فـكـ كـانـ ظـرـيفـاـ أـنـ أـعـيـشـ  
فيـ قـارـبـ مـرـتـكـزـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـغـيـرـ طـافـ عـلـىـ سـطـحـ  
الـمـيـاهـ ..

دخلـناـ الـبـيـتـ ، وـكـانـ نـظـيـفـاـ جـداـ مـنـ الدـاخـلـ .. كـانـ  
هـنـاكـ منـضـدةـ وـسـاعـةـ كـبـيرـاـ مـعـلـقـةـ عـلـىـ الجـدـارـ وـبـجـوارـهـ  
بعـضـ الرـسـوـمـ وـالـصـوـرـ .. وـكـانـ هـنـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ  
الـمـقـاعـدـ وـمـنـ الصـنـادـيقـ الـمـسـتـخـدـمـةـ كـمـقـاعـدـ ..

ـ ثـمـ فـتـحـتـ بـيـجوـتـيـ بـابـاـ صـغـيرـاـ يـؤـدـيـ إـلـىـ حـجـرـةـ



مستر بيوجو .

٤٣

الى مسر جاميدج ) .. و مع هام .. و مع اميلي  
السفيرة !

ويعد ذلك تركنا وذهب ليقتل .. وعندما عاد ،  
كان وجهه اكثر احمرارا .. مثل لون القوقة الذى  
يتحول الى اللون الاحمر حين تغمر في الماء .

وفي المساء جلسنا جميعا جوار المدفأة .. وعلمت  
ان هام ليس اينا لستر بيوجوتي ، ولكنه ابن شقيقه الذى  
مات غريقا في البحر .. كما علمت ان اميلي الصفيرة  
بنت صهر مستر بيوجوتي الذى مات ايضا .. اما مسر  
جاميدج فقد كانت ارملة لصديقه مستر جاميدج الذى  
كان يعمل معه في نفسقارب ، ولكنه غرق في البحر  
منذ فترة طويلة ، ولم يعد لمسر جاميدج اى مأوى  
سوى بيت صديق زوجها المستر بيوجوتي ، فعاشت معه  
في نفس البيت .

وعندما توجهت للنوم .. كنت اسمع صوت الرياح  
مختلطًا بصوت امواج البحر .. وحلمت بأن هذا

٤٢

— لقد قلت لي منذ لحظات إنك تخافين البحر ..  
وهلندا أراك لاتخافين منه ..

قالت أميلي :

— أني أخاف منه عندما تهب العاصف .. ولا  
أخاف منه عندما يكون هادئا .. مثل حالته الآن ..

لذلك فقد ضحكت من خوفى عليها حين كانت عند  
حافة الرصيف عند المياه العميقه .. ومع ذلك فقد  
شعرت في بعض الأوقات في حياتي المستقبلة التي  
عشتها فيما بعد ، انه كان من الأفضل لو انها قد  
سقطت في البحر في تلك المرة ..

لقد أحببت أميلي الصغيرة .. كانت مجرد طفلة ..  
وكلت مجرد ولد صغير .. ولكن هناك شيئاً في غاية  
الجمال ينبعق دائماً من ذلك الحب النقي البسيط الذي  
يربط أحياناً بين الأطفال الصغار ..

كنا نتنفس دائماً على رمال شاطئ يارماوث ..  
وكنا نقضى هناك الساعات تلو الساعات .. وقد لاحظت

٤٥

البيت القارب أخذ يشق طريقه في البحر الواسع ..  
وأن مستر بيجوتي كان القبطان !

وفي صباح اليوم التالي خرجت لأنتشى على  
الشاطئ .. وكانت مع أميلي .. وسألتها :

— اعتقد أنك تحبين البحر ..!

فأجبت على الفور :

— لا .. أني أخاف منه .. لقد رأيته وهو يعطم  
قارباً كبيراً إلى قطع صغيرة .. انه جبار وقاس على  
رجالنا ..!

وطللنا نسير سوياً إلى أن وصلنا إلى رصيف  
ممتدة كاللسان بداخل البحر مخصص لرسو السفن  
والقوارب الكبيرة .. وطللت أميلي تسير وحدها  
فوق هذا اللسان حتى وصلت إلى حافته النهاية عند  
المياه العميقه .. ثم أخذت تجري عائدة .. فقلت لها  
مندهشاً :

٤٤



٤٧

أميلى العصيرة .

بيجوتى ومسز جاميدج مدى سعادتنا .. وتهامستا  
 علينا :

ـ اليسا جيبلين وما يلعبان معا !؟  
 وحين كان مستر بيجوتى يرانا معا .. أنا  
 وأميلى .. كان بيتسم خلف غليونه الموضوع فى فمه ..  
 وقد لاحظت أن مسز جاميدج لم تكن سعيدة فى  
 كل الأحيان .. فعندما ذهب مستر بيجوتى فى أحدى  
 الالسيات ليسهر مع بعض اصدقائه ، اعتلى مزاج  
 مستر جاميدج واخذت تقول :

ـ انى وحيدة .. وكل الاشياء ضدى ..  
 ثم أخذت تشكو من شدة البرد . فقالت لها بيجوتى :  
 ـ ان البرد كان شديدا طوال اليوم .. لقد شعرنا  
 كلنا به ..

فقالت مسز جاميدج :  
 ـ ولكنى أشعر بهذا البرد الشديد أكثر من كل  
 الناس !

٤٦

**قال مسمر بيجوتي ضاحكا :**

- تقولين انك السبب الذى دفعنى للخروج ؟  
لم يكن هناك سبب يدفعنى للخروج سوى رغبتي فى  
فعل ذلك .

**قالت ممز جاميدج وهى تذهب استعدادا للنوم :**

- انى وحيدة .. ولا يحبنى أحد .. وأشعر  
بالأشياء اكثر مما يشعر بها الناس الآخرون .. لقد  
فشلت فى جعل نفسي مثلما أريد أن تكون .. وفشلت  
فى جعل هذا البيت مريحا كما يجب ..

**وعندئذ قالت لى بيجوتي :**

- انها تفكير فى الرجل القديم .

**فتساءلت مندهشا :**

- ومن هو هذا الرجل القديم ؟ !

**قالت بيساطة :**

- زوجها الذى مات !

وعندما تناولنا طعام العشاء فى تلك الامسية ..  
كانت الأسماك صغيرة ومملوءة بالشوك ، وأغلبها كان  
قد احترق اثناء طهيه . وجلسنا صامتين يلفنا شعور  
شبيه بالحزن . أما ممز جاميدج فقد انخرطت فى  
البكاء وهى تقول :

- انى اشعر بالحزن أكثر منكم جميعا ..

وعندما عاد مسمر بيجوتي الى البيت فى الساعة  
الحادية عشر مساء .. كانت ممز جاميدج لم تزل تبكي  
وهي جالسة فى أحد أركان البيت اندھش مسمر بيجوتي  
وسائلها :

- ماذا فى الأمر .. ولماذا تبكين هكذا .. كونى  
مبتهجة .. !

**قالت :**

- لقد ذهبت لتسهر خارج البيت .. وانى آسفة  
لذلك .. وأشعر بانى السبب الذى دفعك الى الخروج  
من بيتك .. !

فقلت بييجوتي متنهدة وبتردد :  
 - نعم .. لقد عادت يا دافيد .. ولكن انتظر ..  
 فقلت وانا اشعر باضطراب شديد :  
 - ماذا حدث ؟ .. لماذا لم تحضر امي لاستقبالنى  
 عند باب البيت ؟ .. هل ماتت ؟ .. لا .. لا يمكن ان  
 تكون قد ماتت .. اليس كذلك ؟ !  
 وقالت بييجوتي :  
 - لا .. لم تمت .. وكان يجب على أن أخبرك  
 بهذا الأمر من قبل .. لقد أصبح لك الآن أب جديد ! ..  
 تعال لترأه ! ..  
 وشحب لون وجهى .. وهى تتوجه بي صوب  
 غرفة المعيشة .. وهناك تركتني ..  
 وعند أحد جانبي المدفأة كانت تجلس امي .. وعند  
 الجانب الآخر ، كان يجلس مستر ماردىستون .. !

ومر الأسبوعان ، وانتهت زيارتى ، وحلت ساعة  
 الرحيل .. وشعرت بالحزن لاضطرارى الى الافتراق  
 عن اميلي الصغيرة ..

وعندما كنا نتوجه الى المكان الذى ستقوم منه عربة  
 السفر ، سرت أنا واميلى ذراعا فى ذراع .. وعندما  
 تحركت العربة شعرت بفraig فى قلبي .. برغم أنى  
 كنت مسرورا بانى اصبحت فى طريق العودة الى امى ..  
 وأعلنت سرورى هذا لبييجوتي .. ولكنها لم تكن  
 مسرورة بذلك ، بل كانت فى منتهى الحزن !

وأخيرا وصلنا الى البيت .. ومازالت الى الان  
 أتذكر ذلك الجو البارد الذى كان يلفه ، وتلك السحابات  
 الداكنة المحملة بالأمطار التى كانت تعلوه ..  
 وفتح الباب .. فاندفعت جاريا صوبه والفرح  
 يغمرنى .. ولكنى فوجئت بوجود خادمة غريبة  
 لا أعرفها .. فسألت بييجوتي :  
 - ما هذا يا بييجوتي .. لم تعد امى الى البيت  
 بعد ؟ ..

## ٤ – وبدأت متابعي

واللقت أمي نحو بيجموتي وقالت لها بحده :

– انت التي أفسدته .. لقد حدثته بكلام ضدي ..  
أوه يا دافيد .. أيها الولد السيء .. أوه يا بيجموتي ..  
أيتها المرأة السيئة .. هل أواجه كل متابع ومصاعب  
العالم مجرد أنني تزوجت .. ليس من حقى أن أكون  
سعيدة !! ..

وهنا شعرت بيد تهزني .. لم تكون يد أمي ولا يد  
بيجموتي .. كانت يد مستر مارستون الذي كان يقول  
لأمى فى نفس الوقت :

– ما هذا ياعزيزتي كلارا ؟ .. هل نسيت ماقلتة  
لك ؟ .. يجب أن تكوني حازمة !!

قالت أمي كما لو كانت تعذر :

– أنا أسفه يا أدوارد .. يصعب على أن أكون  
حازمة !

فهمس في أذنها ببعض كلمات .. وقد عرفت فيما

كانوا قد نقلوا حجرة نومى الى حجرة أخرى ..  
وبمجرد أن رقدت على سريري ، سحبت الفطاء فوق  
رأسى ، واستغرقت فى البكاء حتى أخذنى النوم ..

واستيقظت على صوت يقول : هاهو !! .. وشعرت  
بيد تكشف الفطاء من فوق رأسى .. ورأيت أمى ..  
وبيجموتي وقد جاءتا لترىاني .. وقالت أمى :

– دافيد .. ما الحكاية ..؟  
فقلت وانا أدير وجهي عنها :  
– لا شيء !!

- كلارا يا عزيزتي .. لن تشعرى بالناعب الذى  
يسببها لك هذا الولد مرة أخرى .. !

وبعد أن تناولنا طعام العشاء فى ذلك اليوم ،  
توقفت إحدى العربات جوار باب بيتنا .. ونزلت منها  
مس ماردستون .. أخت مستر ماردستون .. وكانت  
تحمل معها صندوقين أسودين لهما مقابض حديدية ،  
وتحسنت نقودها فىحقيقة صغيرة مصنوعة من الحديد ..  
لقد كانت امرأة حديدية !!

نظرت إلى شذرا .. وقالت وهى تسلم على بيدها :

- أنى لا أحب معظم الأولاد ..

وقال مستر ماردستون :

- هذا ولد عديم الأخلاق !

وفى صباح اليوم التالى تجمعنا جميعا حول مائدة  
الافطار .. وسمعت مس ماردستون تقول لأمى :

- والآن ياكلا라 .. لقد جئت لمساعدتك .. أنك  
جميلة جدا .. وليس لديك أية فكرة عما أستطيع أن

بعد أنه مسيطر على أمى تماماً ويستطيع أن يجعلها  
تفعل أى شيء يرغب فيه .. وقال لأمى بحزن :

- انزلوا يا عزيزتي إلى الدور الأسفل .. ودعيني  
أنا ودافيد لكى نتفاهم سويا ..

وعندما خرجت أمى وبيجوتى من الحجرة ، قال لي  
مستر ماردستون :

- دافيد .. هل تعلم كيف أروض حصانا ..  
او كيف أجعل كلبا يطيعنى !؟ ..

- لا .. لا أعرف !

- أنى أضربه .. أنى أقول لنفسي : سوف  
انتصر على هذا الحيوان .. سوف أضربه .. وأضرب  
بشدة كل جزء فى جسده .. هل تفهم ما أقوله لك ..  
نعم .. يبدو أنك قد فهمت .. هيا .. أغسل وجهك  
وانزل معى إلى الدور الأسفل .. !

وعندما وصلنا إلى غرفة المعيشة بالدور الأسفل ،  
قال مستر ماردستون لأمى :

عاجزة عن القيام باعمال هذا البيت .. وانى على يقين من انى كنت ادير هذا البيت ادارة حسنة قبل ان تتزوج .. اسال بيجوتي ..

وهنا قالت اخته مس مارديستون بحزن :  
- ادوارد .. سارحل غدا !

فرد عليها اخوها بحزن اكثـر :  
- مس جين مارديستون .. الزمى الصمت !!

والتفت الى امي وقال لها :

- كلارا .. عندما تزوجتك كنت أمل في ان امنحك القدرة على الحزم والانضباط .. لأنك تحتاجين الى ذلك .. وعندما تعطفلت اختي جين مارديستون وجاءت لتساعدني في ذلك .. فقد كنت اتوقع ان تشكريها على هذا العطف .. أما هذا الكلام الذى تقولينه .. فانه يسبب المـى ويغير مشاعرى ..

فقالت امي وهي تبكي :

اعمله من اجلك .. وادا اعطيتـى جميع مقاييس البيت .  
فسوف استطيع ان اتدبر جميع شـون هذا البيت من الان فصاعدا ..

وعلى الفور بدات امي فى البـاكـاء .. فقال لها مستر مارديستون :

- كلارا ! .. انى مندهش لذلك .. !

فقالت امي وهي تحاول ان تكفكـف دمعها :  
- انك تتحدث عن « الحزم » وعن « الانضباط » ..  
ولكنك تتناقض مع نفسك .. من المؤلم جدا ان اكون فى « بيـتـى » ولا ...

فقطاعها على الفور :

- « بيـتـى » ! .. هل قلت « بيـتـى » ؟ .. !

فقالت امي مستدركة وقد بدا عليها الخوف :

- أقصد « بيـتـنا » .. من المؤلم جدا ان ابدأ غير قادرة على القيام بالاشراف على ادارة بيـتـنا .. او



٥٩

مستر مارديستون واخته

- أوه .. لانقل مثل ذلك .. انى شاكرة لها ..  
ودعنا نصب اصدقاء .. انى لا استطيع ان اعيش  
بين ناس لا يعطون على ..

وعندئذ القفت مستر مارديستون الى وقال :

- دافيد .. هذا كلام لا يناسبك .. غادر الغرفة  
فورا .. !

واغرورقت عيناي بالدموع لدرجة كنت لا استطيع  
معها رؤية الباب ..

وهكذا تولت مس مارديستون كل شئون البيت ..  
واذا حدث ان نطقت امى بكلمة او ابتدت اية فكرة او  
ملاحظة ، فان مس مارديستون كانت تفتح حقيتها  
الحديدية على الفور ، وتبعد كما لو كانت ستعيد  
المفاتيح .. وعندئذ كانت امى تخاف وتلزم الصمت ..

وكان من المفروض ان تقوم امى باعطائى  
الدروس .. ولكن مستر مارديستون واخته يحضران  
دائما ساعة الدرس .. وينتهزان هذه الفرصة لتلقين  
امى دروسا فى كيفية الحزم والانضباط ..

٥٨

الولد .. لاتقولى له : أوه يادافيد .. بل انظرى  
للموضوع هكذا : هل حفظ هذا الولد درسه أم لا .. ؟

وقالت مس مارديستون على الفور :

- لا .. لم يحفظ درسه ..

بينما قالت أمي :

- أخشى الا يكون قد حفظه ..

قالت مس مارديستون :

- اذن اعiedى اليه الكتاب ، وقولى له ان يحفظ  
درسه جيدا ..

قالت أمي بارتياح :

- هذا ماكنت أتوى أن اعمله بالفعل .. تعال  
يادافيد .. خذ الكتاب وحاول مرة ثانية .. ولا تكن  
غبيا .. !

وحاولت مرة أخرى .. ولكنني فشلت فعمل مستر  
مارديستون حوكمة تدل على نفاد الصبر وكذلك فعلت  
أخته .. بينما كانت أمي تحاول ان تحرك شفتتها

في الماضي .. أى قبل ان تتزوج أمي .. كنت  
اعتمد بأوقات الدروس واتعلمها بسهولة .. ولكن هذه  
الدروس أصبحت الآن - بحضور مستر مارديستون  
واخته - شيئاً يبعث الخوف والألم : أصبحت محاكمة  
يومية محزنة لي ولأمى ..

وفي احدى المرات .. تقدمت الى أمي ومعنى  
الكتاب .. وسلمته لها مفتوها لكي ترى كيف حفظت  
الدرس .. وبدأت في تلاوة الدرس بسرعة قبل ان يطير  
من ذهني .. ولكنني كنت مضطرباً بسبب حضور مستر  
مارديستون وأخته ، لذلك فقد أخطأت في كلمة .. وعندئذ  
نظر الى مستر مارديستون شذراً فاختلطت في كلمتين ..  
فنظرت الى اخته مس مارديستون شذراً فنسخت على  
الفور ست او سبع كلمات .. وكانت أمي تحاول ان  
تساعدني ولكنها لم تجسر على فعل ذلك .. وقالت لي :

- أوه يادافيد ..

وهنا تدخل مستر مارديستون قائلاً لها :

- كلارا .. لابد ان تكوني حازمة ومنضبطة مع

لتساعدنى . فشخطت فيها مس ماردىستون صائحة :

ـ كلارا .. !!

و عندئذ نهض مسٹر ماردىستون من مقعده .. وأخذ الكتاب .. و ضربنى به على رأسي .. وألقى بي خارج الغرفة ..

هكذا كنت أتلقي دروسى يوماً وراء يوم .. وحتى عندما كنت أحفظ الدروس جيداً .. كان مسٹر ماردىستون وأخته يكلمانى بمزيد من الواجبات .. وكانا لا يطيقان أن يريانى غير مكلف بواجب ..

وهكذا تبدلت سعادتى .. وأصبحت كثیر الصمت .. ومع ذلك فقد كانت سعادتى الوحيدة في الأوقات التي اقضيها متفحصاً الكتب التي تركها أبي .. والتي عثرت عليها في حجرة مجاورة لحجرتى .. عثرت على « روبنسون كروزو » وعلى كتب الرحلات والعديد من الكتب الأخرى .. وكانت هذه الأوقات هي العزاء الوحيد الذى يساعدنى في الهروب من شقائى وتعاسى ..

## ٥ - وضربني ..

ذات صباح ، توجهت الى غرفة العيادة وعمى كتاب الدروس .. وكانت أمى تبدو قلقة .. وكانت مس. ماردىستون تبدو حازمة .. أما مسٹر ماردىستون فكان يمسك في يده عصا غليظة ..

والتقت مسٹر ماردىستون الى أمى وقال لها :  
ـ لا تهتمي كثيراً بهذا الأمر يا كلارا .. فانا نفسى ضربت كثيراً عندما كنت في مثل سنك ..  
وقالت ماردىستون مؤمنة على كلامه :  
ـ نعم .. هذا صحيح ..

فقالت أمي كما لو كانت تبرر موقفها :

- يبدو أنني لست على مايرام هذا اليوم ..
- فرد عليها مسْتَر مارِدِسْتُون قائلًا :
- كلارا .. يبدو أنك لست حازمة بقدر كافٍ لكي تتحمل المسؤولية التي يسببها لك هذا الولد ..

والتفت إلى وقال :

- دافيد .. لابد أن تصعد معنى إلى الدور الملوى ..

وعندما كان يقودني خارج باب الغرفة ، اندفعت أمي نحوه .. ولكن مسْتَر مارِدِسْتُون أمسك بها وهددتها قائلة :

- كلارا .. كم أنت غبية !

وسمعت أمي وهي تبكي بشدة بينما كنت أصعد إلى الدور الملوى مع مسْتَر مارِدِسْتُون .. وعندئذ توسلت إليه وأنا أبكي :

ادوارد ..!

فرد عليها فوراً :

- وهل تعتقدين أن الضرب كان يؤلمه ..
- والتفت إلى مسْتَر مارِدِسْتُون وقال لها وهو يمسك بالعصا :

- والآن يا دافيد .. يجب أن تهتم بدرؤسك بقدر أكثر من العتاد !

وفي الحقيقة .. فقد أصبحت كارها لاجبارى على تلقى دروسى بتلك الطرق المرعبة .. وكانت حالي تزداد سوءاً .. وأصبحت غير قادر على التذكر .. ولاحظت أن أمي قد بدأت تبكي ، فنظرت إليها مسْتَر مارِدِسْتُون وشخخت فيها :

- كلارا ..!

٦٤

وازداد احساسى بسوء حالى .. واعتقدت انى قد  
ارتكبت شيئاً فظيعاً .. واخذت افكر فيما ياترى  
سيفعلونه بي .. هل سيرسلونى الى السجن ؟!

وشعرت بباب الغرفة وهو يفتح .. ودخلت مس  
ماردستون .. ووضعت على المائدة بعض الخبز وقليلًا  
من اللبن .. ونظرت الى بعزم .. ثم خرجت وأغلقت  
الباب مرة أخرى ..

- أرجوك يا سيدي .. اتوسل اليك الا تضربينى ..  
لقد بذلت كل جهدى فى حفظ دروسى .. ولكن افقد  
القدرة على التعلم عندما تكون انت ومس ماردستون  
بالقرب منى !

وفجأة ، امسك برأسى ووضعها تحت ذراعه ..  
فاضطربت الى ان اغضى يده .. وعندئذ بدأ يضربنى  
ضرباً مبرحاً كما لو كان يريد ان يقتلنى .. وكانت  
هناك ضجة كبيرة .. فكلما استمر فى ضربى .. كلما  
كنت اصرخ باعلى صوتي .. وبرغم كل هذه الضجة ،  
سمعت اقدام امى وبيجورتى وهما تصعدان درجات السلالم  
وكانتا تبكيان وتصرخان بشدة ..

وعندئذ توقف مستر ماردستون عن الضرب ..  
وخرج من الغرفة ، وأغلق على بابها ..

وبعد فترة ، بدأ اهدأ .. واخذت اتصنث ، فلم  
اسمع فى البيت صوتاً .. ونظرت الى وجهى فى  
المراة .. كان احمر ومتورماً فشعرت بالخوف ..

وفي اليوم الأخير ، سمعت صوتا يهمس باسمى  
فاقتربت من الباب وقلت متلهما :

– أهذه أنت ياعزيزتي بيجوتي ؟ ..  
– نعم يادافيد .. وتكلم بصوت منخفض حتى  
لاتسمعنا !

وكانت تقصد بذلك مس ماردىستون بالطبع ..  
وسألتها بصوت منخفض :

– كيف حال أمي ؟ .. هل هي غاضبة مني ؟ ..  
وسمعت نونهة بكاء بيجوتي وهي تقول :  
– لا .. ليس غاضبة ..

– وماذا سيفعلون بي ياعزيزتي بيجوتي ؟ .. هل  
تعرفين ؟ !

– نعم .. نعم .. سيرسلونك الى مدرسة قرب  
لندن ..

– متى يا بيجوتي ؟ ..

## ٦ – وأرسلوني الى المدرسة

واستيقظت صباح اليوم التالي نشطا وسعیدا ..  
ولكنى سرعان ما تذكرت تلك التجربة المؤلمة التى  
عانيتها ومازالت أعاينها .. وخيل الى أنهم ينورون  
شنقى .. او يفعلون بي اشياء اخرى لا اعرفها ..

وظلت سجينًا في تلك الغرفة لخمسة أيام متعاقبة ..  
مررت كما لو كانت سنوات طويلة .. وكانت اتصنط على  
كل الأصوات التي تحدث في البيت .. وقع الأقدام ..  
وصوت الجرس عندما يدق .. وكل الأصوات الأخرى  
التي تحدث في الشارع ..

ـ غدا ..

ثم وضع بيجوتي فمه قرب ثقب مفتاح الباب ..  
ومهست بحنان :

ـ عزيزى دافيد .. لقد مر وقت طويل دون ان  
اراك .. ولم يكن ذلك بسبب انى لا احبك .. بل على  
العكس .. لقد امتنعت عن زيارتك لأن ذلك افضل بالنسبة  
لك وبالنسبة لامك .. فانا اخشى غصب مستر ماردستون  
واخته علينا جميعا .. وربما سياتى اليوم الذى سترى  
فيه امك انى مخلصة لها وتعود من جديد لتضع رأسها  
فوق كتفى .. واعذر باى ساكتب لك ياعزيزى ..  
واختفت كلماتها بعد ان بدت فى البكاء ..  
فقلت لها :

ـ شكرًا لك ياعزيزى بيجوتي .. وهل يمكنك  
ان تكتب الى أخيك مستر بيجوتي والى اميلي الصغيرة  
لتطلبنيهم على حالى .. وانى لست في حالة سيئة  
كما قد يظنون .. وانى ارسل تحياتى وحبى لهم

جميعا .. خصوصا اميلي الصغيرة .. ارجوك ان  
تكتب لهم بهذا ..  
وعودتني بيجوتي بذلك ..

وفي صباح اليوم التالى جاءت مس ماردستون  
وأخبرتني بأنهم قرروا ارسالى الى المدرسة .. وعندما  
توجهت معها الى مائدة الافطار .. رأيت امى جالسة  
وقد احمرت عيناهما من كثرة البكاء .. ومع ذلك فقد  
قالت

ـ رب يادافيد .. حاول ان تكون ولدا طيبا ..  
لقد جعلوها تصدق انى ولد سيء .. وحاولت  
ان اتناول طعامى .. ولكن دموعى تساقطت على الخبز  
والزبد ..

وعندما وصلت العربية التى ستحملنى الى باب  
البيت ، وضعوا فيها صندوقى .. ولم تحضر بيجوتي  
لتوديعى .. وحضرت امى وعها مس ماردستون الذى  
قالت لها بحزن :



وافرورقت عينها بالدموع .

— كلارا .. كوني حازمة !

فقالت أمي طائعة :

— حاضر يا عزيزتي جين .. وداعا يا دافيد ..  
انت ذاهب لمصلحتك .. وداعا يابني .. وسوف تعود  
الى البيت فى فترة الاجازة .. وكن ولدا طيبا افضل  
من ذلك !

وعندما اغزورقت عينها بالدموع .. صاحت فيها  
مس مارستون :

— كلارا .. !

فقالت أمي :

— نعم يا عزيزتي جين .. ليرعاك الله يا دافيد ..  
وهنا اخذتني مس مارستون وأجلسستنى فى  
العربة .. وبدأ الحصان الكسول يتحرك ببطء ..

**الجزء الثاني**  
**المدرسة**

---

## ٧ - في الطريق الى المدرسة

وطللت أبكي الى أن ابتل منديلى تماما من كثرة  
ما ذرقته من دموع .. وفجأة أوقف السائق العربية .  
وتعجبت لماذا توقف .. ولكنني رأيت بيجهوى وهي تقفز  
الى داخل العربية وأخذت تقبلنى ..

وأعطتني بعض أكياس من الورق مملوءة بالكمك ..  
كما أعطتني كيسا صغيرا به بعض النقود .. ثم نزلت  
من العربية وأخذت تجري .. وعندئذ بدأت العربية فى  
التحرك من جديد .

وبعد فترة توقفت عن البكاء .. ووضع السائق

- هل هي انتي صنعت هذا الكمله ؟ ..  
 فقلت له :  
 - هل تقصد بيجوتي ياسيدى ؟ .. نعم هي التي  
 صنعته .. وهي تقوم بكل اعمال الطبخ ..  
 وأخذ مستر باركيس يحملق في اذني الحسان وهو  
 مستغرق في التفكير . ثم سالنى :  
 - هل لها زوج ؟ ..  
 - لا ياسيدى .. انها غير متزوجة .  
 وظل يحملق في اذنى الحسان ، ثم قال مرة اخرى :  
 - وهي التي تقوم بكل اعمال الطبخ ..  
 - نعم ..  
 - اعتقاد انك ستكتب لها مستقبلا ..  
 - نعم ساكتب لها ..  
 وعندئذ ادار مستر باركيس عينيه نحوى ونظر الى  
 راجبيا .

منديلي فوق ظهر الحسان ليجف .. وفجعت كيس  
 النقود ، فوجدت به ثلاثة شلنات لامعة براقة ، كما وجدت  
 ورقة صغيرة مكتوب فيها : « الى دافيد .. مع حبى ! » .

وسائل سائق العربة :

- هل سنظل هكذا حتى نصل الى هناك ؟ ..

- اين « هناك » هذه ؟ ..

- هناك .. الى لندن ..

- الى لندن ؟ .. ان هذا الحسان سيموت  
 قطعا قبل ان يصل الى نصف الطريق الى هناك اتنا  
 سذهب فقط الى يارماوث .. ومن هناك ستترك عربة  
 سفر كبيرة ستأخذك الى لندن ..

كانت هذه خطبة كبيرة وطويلة بالنسبة الى مستر  
 باركيس .. وهو اسم سائق العربة ..

وأعطيته كملة .. فوضعها في فمه وابتلمها مرة  
 واحدة . وسائلنى بعد فترة :

— هذا عشاء به كمية من الطعام أكثر من حاجة ولد صغير .. هل تدعني أساعدك فيه .. دعنا نرى من يأكل أكثر من الآخر .. !

وبالطبع فقد أكل الخادم أكثر مني .. أكل كل العشاء تقريبا .. وطلبت منه أن يحضر لي بعض الأوراق لاكتب رسالة إلى بيجوتي . وكتبت:

«عزيزتي بيجوتي .

وصلت بالسلامة إلى يامماوث .. و « باركيس مستعد » .. أبلغني أمى بجى .  
المخلص لك والذى يحبك كثيرا .

دافيد .

ملحوظة : هو يقول انه حريص على ان تعرفي ان « باركيس مستعد » .

وسألتى الخادم :

— هل انت ذاذهب الى المدرسة ؟ ..

— عندما تكتب اليها .. قل لها ان « باركيس مستعد » (١)

فتساءلت دون ان افهم قصده :

— باركيس مستعد ؟ .. هل هذه كل رسالتك ؟ ..

فقال بهدوء وببطء :

— نعم ..

— ولكنك يامستير باركيس سترسل ببيتنا غدا ..  
اليس من الأفضل أن تبلغها رسالتك بنفسك ؟ ..

فقال بهدوء مرة أخرى :

— أبلغها بأن « باركيس مستعد » .. هذه هي كل رسالتى .

وعندما وصلنا إلى يامماوث ، قالت السيدة التي تدير الحانة ان عشائى جاهز . واقتادتى الى حسالة واسعة . وأحضر الخادم عشائى وهو يقول :

---

(١) عبارة تعنى أنه يعرض عليها الزواج به .

- جورج .. ان هذا الولد سينفجر من كثرة ما اكل ..

وتحركت عربة السفر واخيرا وصلت الى لندن في صباح اليوم التالي .. وهناك كان ينتظري احد المدرسین الذين يعملون في المدرسة . كان اسمه مستر ميل . وقلت له انى لم اتناول افطارى .

قال :

- سنشترى بعض الطعام .. وسوف اذهب لزيارة سيدة عجوز .. وستتناول طعام افطارك عندما .. ومشينا خمسة قصيرة ، الى ان وصلنا الى أحد ملاجئ الفقراء والعجزة التي يبيتها بعض الأغنياء المحسنين لايواط المعوزين من الناس . ودخلت مع مستر ميل الى داخل الملاجأ . وسمعت صوت سيدة عجوز تنايه :

- عزيزى شارلى !

عرفت انها ام مستر ميل ..

- نعم ..

- وأين تقع هذه المدرسة ..

- بالقرب من لندن .. هذا كل ما اعرفه عنها ..

- اوه .. انى اسف لذلك !

فقلت مدهشا :

- لماذا ..؟!

- انها المدرسة التي يكسرون فيها ضلعين من صدر كل ولد !

ولم يسعدنى هذا الكلام طبعا ..

وبعد فترة وصلت عربة السفر الكبيرة الى باب الحانة الخارجى ، وأوصلتني السيدة التي تدير الحانة الى العربة وهي تنظر الى بدھشة وقالت :

- هل التهمت كل طعام العشاء دون ان يساعدك حد ..

ونادت على الخادم :

الأرض .. وكانت الجدران كلها ملوثة بالعبر كما لو كان السقف قد أمطر حبرا .. وكانت رائحته كريهة لاتطاق ..

وفي ذلك الفصل قضيت عدة أيام وحيدا .. ولم اكن أرى أحدا سوى مستر ميل ، فالأولاد لم يعودوا بعد من الأجازة ، كما أن مستر كريكل ناظر المدرسة ما زال يقضى عطلته بعيدا على شاطئ البحر ..

وكلت اتناول وجباتي مع مستر ميل في صالة الطعام الواسعة الخالية .. ثم نعود إلى الفصل .. وبينهمك هو في الكتابة لفترة طويلة وعندما كان ينتهي من ذلك كان يخرج صفارته وبيده في عزف الألحان الحزينة ..

اما أنا ، فكنت أقضي وقتى في القراءة .. أو في الاستماع إلى تلك الألحان الحزينة .. وعندما كنت أتوجه للنوم كل مساء ، كنت أجهد نفسي بالبكاء حتى أتمكن من النوم وحدى في تلك الحجرة الكبيرة الواسعة الملوثة بالأسرة الخالية ..

وبعد أن تناولنا افطارنا سويا ، قالت السيدة العجوز لابنها :

- هل أحضرت صفارتك ياشارلى ؟  
وأخرج مستر ميل صفارته وبدأ يعزف لنا وكان أسوأ عزف سمعته في حياته ..  
وبعد أن خرجنا من الملجأ ، ركبنا عربة سفر أخرى أوصلتنا إلى بلا كهيث ..

ثم سرنا مسافة طويلة حتى وصلنا إلى بيت مبني من الطوب وله باب علقت عليه لافتة مكتوب عليها : « سالم هاوس » ..

وفتح الباب .. وظهر رجل له ساق خشبية ..  
وقال له المدرس :  
- هذا هو الولد الجديد ..

كان « سالم هاوس » هذا عبارة عن مبنى مربع الشكل له مظهر حزين .. وقادنى الرجل إلى أحد الفصول .. وهو مكان محزن وفارغ تماما وليس فيه أحد غيري .. وكانت هناك ثلاثة صفوف طويلة من مقاعد التلاميذ .. وقصاصات كثيرة من الورق متناثرة على

- هاه هاه هو الجنتلمن الصغير الذى يعض  
 لقد أخبرنى مISTER ماردىستون بأنك تعض .. أنا أعرف  
 مISTER ماردىستون جيدا .. انه رجل قوى الشخصية ..  
 وأنا أيضاً قوى الشخصية .. وعندما أقول أنا سأفعل  
 شيئاً ما فلا بد أن أفعله ..  
 وشعرت بخوف شديد ..

وفي صباح اليوم التالي ، وصل مدرس آخر اسمه  
 مISTER شارب . وكان قومي ترالدن أول العائدين من  
 الأجازة من تلاميذ المدرسة . ثم وصل بعد ذلك أولاد  
 آخرون .

وعندما وصل ج . ستيرفورث ، أخذوني اليه كما  
 لو كانوا يأخذوننى الى القاضى .. كان جالساً تحت  
 دروة في فناء الملعب .. وهو أكبر الأولاد سناً ولذلك  
 فقد كانوا يعتبرونه رئيسهم . وكان يتمتع بذكاء خارق  
 ومنظر حسن ..

سالفى ستيرفورث :  
 - كم معك من النقود ?

## ٨ - وقابلت العديد من الناس

وأخذ الرجل ذو الساق الخشبية ينظف جميع  
 الأركان بمبني المدرسة . وعلمت أن ناظر المدرسة مISTER  
 كريكل سيصل في المساء . وقبل أن يحل موعد نومي  
 بقليل ، استدعاني الرجل ذو الساق الخشبية لمقابلة  
 الناظر ..

كان مISTER كريكل بدينا . وكان يجلس في حجرته  
 على مقعد ذى مساند جانبية . وكانت زوجته مساز  
 كريكل وابنته مس كريكل موجودتين بالحجرة .  
 وبمجرد دخولى قال الناظر :

فقلت له على الفور :

ـ سبعة شلنات .

ـ اذن اعطهم لى .. سوف أحفظ هذه النقود من  
ـ اجلك ..

واعطيته النقود . فقال :

ـ ربما تواافق على صرف بعض هذه النقود  
للاشتراك في شراء وليمة سنأكلها في حجرة النوم ..  
ـ وافقت ..

وفي تلك الليلة ، انعدمت الوليمة في حجرة النوم ،  
وجلسنا جميعاً نتسامر ونتحدث في همس وعلمت الكثير  
من أخبار المدرسة وأسرارها .

علمت أن مسiter كريكل ناظر المدرسة يضرب الأولاد  
بشدة وباستمرار .. وأنه لا يعرف شيئاً .. وأنه كان  
صاحب متجر صغير قبل أن يبدأ مشروع هذه المدرسة ..  
وعلمت أنه لا يحسن اطلاقاً على ضرب جـ . ستيرفورث .

وعلمت أيضاً أن المدرسين مسiter شارب ومسiter  
ميل لا يحصلان إلا على أجر قليل .. كما علمت أن مسـ  
ـ كريكل زوجة الناظر معجبة جداً بستيرفورث .  
ـ واخيراً قال لي ستيرفورث :

ـ تصبح على ذير يا كوبريفيلد الصغير .. سوف  
ـ ارعاك واعتنى بك !

ـ فقلت له :

ـ شكرًا لك .. إنك شديد العطف !

في مذاكرة دروسى .. وكذلك كان مстер ميل يساعدنى  
في المذاكرة ، وشعرت بأنه يحبنى ويعطف على أكثر من  
الأولاد الآخرين

وكنت أتألم بشدة من المعاملة السيئة التي يمارسها  
ستيرفورث ضد مстер ميل .. فقد كان يعامله بدون  
احترام ، ويفعل كل شيء يؤذى مشاعره ويجرح  
احسانته .. وكان يحرض الأولاد الآخرين ويشجعهم  
على السخرية به ..

وشعرت بأنى اخطأ خطأ كبيرا حين أخبرت  
ستيرفورث بأن أم مстер ميل سيدة عجوز تعيش في  
ملجأ للفقراء والعجزة .. فقد كنت أخشى أن يشيع  
ستيرفورث هذا الخبر بين الأولاد الآخرين لزيادة  
السخرية بمستر ميل وجراحته ..

ومكذا مرت أيام الدراسة يوما وراء يوم .. إلى  
أن جاء يوم سأظل ذكره طول حياتي ..  
كان يوم سبت .. وقد أجبينا المطر المنهر إلى

## ٩ | العام الدراسي الأول في سالم هاوس

بدأت الدراسة في اليوم التالي .. ومازالت أذكر  
الضجة الشديدة الصاخبة التي كانت تحدث في حجرة  
الدراسة ، والسكون والصمت المفاجئ عند ظهور  
مستر كريكل ..

ويبدو أن مستر كريكل كان يجد متعته الخاصة في ..  
ضرب الأولاد .. وكان يضرب ترالذلز أكثر من كل  
الأولاد الآخرين ..

وواصل ستيرفورث حمايته لي .. وكانت أحكم له  
ما أعرفه من القصص في كل مساء .. وكان يساعدنى

— اسكتوا جيميا .. ما هذا الذى تفعلون ..  
مامعناء .. من المستحبيل ان اتحمل ذلك .. انكم تدفعوننى  
إلى الجنون .. كيف تجرؤون على فعل ذلك يا أولاد؟!

والى بالكتاب بعنف فوق مكتبه ..  
وحل الصمت عندما توقف بعض الأولاد عن  
الاستمرار فى تلك السخرية المريءة .. ولكن ستيرفورث  
وقف فى آخر الفصل وأخذ يصفر .. فقال مستر ميل :  
— اسكت يا ستيرفورث !

ولكن ستيرفورث قال :  
— اسكت انت !  
— اجلس !  
— اجلس انت !!

وضحك الكثير من الأولاد ، وشحب لون وجه  
مستر ميل وهو يقول :

قضاء فترة بعد الظهر بداخل حجرة الدراسة .. وكان  
مستر شارب قد انصرف ، وبقى معنا مستر ميل ..

كان الأولاد يحدشون ضجيجا وصخبا أكثر من  
المعتاد .. كانوا يجررون ويتقافزون هنا وهناك ..  
ويضحكون .. ويصرخون .. ويغفون .. ويرقصون ..  
ثم أخذوا يتخلقون حول مستر ميل وبيخلقون باعینهم  
فيه .. ويخرجون السنتم لهم .. ويخرجون من ملابسه  
الفيرة الرثة .. ومن حذائه البالى المنقوب .. ومن  
أمه !!

كان هذا شيئا فظيعا ومؤلما .. وكان الأولاد  
يدورون حوله كما تدور الكلاب حول حيوان جريح ..  
ومع ذلك ، فقد ظل مستر ميل جالسا فى سكون وقد  
اسند راسه على يده محاولا القراءة فى كتاب .. او  
له كان يتظاهر بأنه منهمك فى القراءة ..

ولكن فجأة ، قفز مستر ميل من مقعده وهب واقفا  
واخذ يصبح :

**فقال ستيرفورث :**

ـ لقد وصفته بأنه شحاذ .. وهو بالفعل شحاذ ..  
وابن شحاذة .. إن أمه تعيش في ملأ الفقراء  
والعجزة !

ـ ونظر مسْتَر ميل نحوى .. وأسند يده على كتفى ..  
وهنا قال مسْتَر كريكل :

ـ والآن يامسْتَر ميل .. إذا سمحت .. إن عليك  
أن تثبت لنا جيمعاً أن ما قاله ستيرفورث غير صحيح ..  
فقال مسْتَر ميل بانكسار :

ـ لا .. إنَّه على صواب .. لقد قال الحقيقة !

**وعندئذ قال مسْتَر كريكل قراره :**

ـ أعتقد أنك أخطأت الطريق .. عندما جئت للعمل في  
مدرسةتنا .. كان يجب أن تتعامل في مدرسة  
للشحاذين .. أنت مقصورة .. وعليك أن تغادر  
المدرسة !

ـ لقد رأيتك وانت تحرض الأولاد ضدى وتختهم  
على السخرية بي .. إنك الولد المفضل لدى الناظر ..  
وانت تستغل هذا المركز لتسخر وتشتم وتسب سيدا  
مثلك ..

**فقال ستيرفورث على الفور :**

ـ سيدا ! .. هل تظن نفسك سيدا ! .. إنك  
 مجرد شحاذ !!

ـ وخيل لي أن ستيرفورث كان ينوي ضرب مسْتَر  
ميل .. أو أن مسْتَر ميل كان ينوي ضرب ستيرفورث ..  
وفجأة دخل مسْتَر كريكل الى الحجرة وصاح :

ـ ما هذا الذي يحدث ؟ ..

**فقال ستيرفورث :**

ـ كان يقول انى الولد المفضل لدى الناظر ..  
وقال مسْتَر ميل :

ـ انه يستغل مركزه هذا ويسبني ..

- كيف حال أمي .. وكيف حال أميلى الصغيرة  
وممز جاميدج ١٩٠٠

- هم جميعا بخير وفي أحسن حال .. لقد  
أحضرت لك بعض الواقع والمحار ..

وعندما دخل ستيرفورث إلى الحجرة قلت له :

- تعال لأعرفك يا صدقاء .. هذان صديقان  
من يارماوث ويعملان في القوارب ..

فقال ستيرفورث :

- أنى سعيد برؤيتكم ..  
وقلت :

- هل يمكن أن أصحب ستيرفورث معى عند  
زيارتكم في يارماوث لكي يرى بيتك .. انه بيت  
مصنوع من قارب كبير ياستيرفورث !

فقال مستر بيجوتي :

فقال مستر ميل وهو ينصرف :

- ستيرفورث .. اتعنى أن يأتي يوم تندم فيه  
وتحس بالعار مما فعلته معى في هذا اليوم !  
وجمع مستر ميل كتبه وسفارته وخرج ..

وهنا قال تراملز لستيرفورث :

- أنت الذى شتمته .. وتسببت أيضا في فصله  
من العمل !  
ومع ذلك فقد كان ستيرفورث محل اعجاب معظم  
الأولاد ..

وفي ظهر أحد الأيام ، أخبروني بأن زوارا جاءوا  
ويريدون مقابلتى وفوجئت بوجود مستر بيجوتي  
وهما ، وقد جاءا لزيارة .. وقال مستر بيجوتي عندما  
رأته :

- لقد نضجت وأصبحت كبيرة ..  
وسألته :

- أن بيته ليس فرجة .. ولكن أرحب بكل سرور في هذا البيت ..  
وهكذا مرت أيام الدراسة .. كل يوم منها كان يشبه ما سبقه وما يليه من أيام .. وانتهى العام الدراسي أخيرا ..  
ومازلت إلى الآن أذكر رحلتي إلى يارماوث في عربة السفر ..

## ١٠ - أيام الأجازة

ومن يارماوث . ركبت حرية السفر الصيفية التي يقودها مسافر باركيس . وقلت له :  
- تبدو في حالة جيدة يا مسافر باركيس .. لقد أرسلت رسالتك .

فقال بهدوء :

- ولكنني لم استلم حتى الآن ردًا .. وما زلت انتظر ..

فسألته :

- وهل حدثتها في ذلك ؟ ..

ناديت عليهما ، فهبت واقفة ، واتجهت نحوى ،  
وقبلتني وهي تقول :  
ـ هذا اخوك يادافيد .. يا ولدى العزيز ..  
يا ولدى المسكين !

وجاءت بيجوتي مسرعة واحتضنتنى .. وكان  
مستر ماردىستون وأخته مس ماردىستون خارج  
البيت .. لذلك فقد جلسنا نحن الثلاثة نتناول عشاءنا  
جوار المدفأة .. وعندما أخبرت بيجوتي بما قاله مستر  
باركيس ، أخذت تضحك .. وهنا قسمت أمى :

ـ عما تتحدثان .. ؟

قالت بيجوتي :

ـ عن رجل غبى يريد أن يتزوجنى !

وقالت أمى :

ـ سيكون هذا زواجا مناسبا ..

وقالت بيجوتي :

ـ لا .. عليك أن تحدا ثها أنت فى هذا  
الموضوع .. قل لها : بيجوتي .. باركيس مازال  
ينتظر ربك .. فإذا سألتك ردى على ماذا فقل لها إن  
ـ « باركيس مستعد » !

ثم سالقى بعد لحظة :

ـ قل لي .. ما هو اسمها الأول ؟

فقلت له :

ـ كلارا .. اسمها كلارا بيجوتي

وكتب مستر باركيس هذا الاسم على أحد جانبي  
العربة ..

وعندما وصلنا إلى البيت .. توقفت العربية أمام  
البوابة الخارجية ، ونزل مستر باركيس صندوق  
حاجياتى وتركنى .. وسررت تجاه الباب ، واتجهت  
مسرعا نحو غرفة المعيشة .. وهناك رأيت أمى جالسة ،  
وتحمل على ذراعيها طفل رضيعا .. !

- انتي أتعجب .. ماهى اخبار عمة دافيد  
الكبرى .. مس بيتسى تروتورو ١٩ ..

قالت أمى :

- اعتقد انها مازالت تعيش فى كوخها قرب  
البحر .. ويبدو أنها لم تعد راغبة فى مضايقتنا ..

- ربما ستغفر الان لدافيد حكاية انه ولد ولم  
يكن بنتا كما كانت ت يريد .. خصوصا بعد ان أصبح  
دافيد اخا آخر ..

وعندئذ بدأت أمى في البكاء وقالت لبيجوتى  
بصوت حزين :

- لماذا تفكرين في ارسال دافيد الى عمه الكبرى  
مس تروتورو .. لمجرد أنى ولدت له اخا .. ؟

وبدا شجار عاصف بين أمى وبيجوتى ، ولكنهما  
تصالحتا في النهاية وغفت كل منهما للأخرى ..  
وقالت أمى أن بيجوتى هي صديقتها الحقيقة المخلصة ..

- لا .. لن أتزوجه حتى ولو كان مصنوعا كله من  
الذهب الخالص .. قل له يادافيد : انه لم تتكل معها  
من بل .. وقل له انه اذا حاول ان يكلمني فسوف  
أصفعه على وجهه !

وعندما انتهينا من تناول العشاء ، جلسنا قرب  
نار المدفأة .. وقالت أمى متسائلة :

- بيجوتى .. هل حقا تريدين ان تتزوجى ١٩ ..  
ـ أنا ؟ .. أنا لن أتزوج اطلاقا ..

- لا تتركييني يابيجوتى .. وايقى جوارى فانـا  
بحاجة اليك .. انتي اشعر بقرب النهاية ..

- اتركك ؟ .. هل هذا معقول .. سابقى معك الى  
ان أصبح سيدة عجوزا لا أصلح لشيء ..

وأخذت أحکى لهما ماريته وسمعته من حكايات  
المدرسة .. ولكن بيجوتى قالت فجأة وكانما تذكرت  
 شيئا هاما :

عطف نحوى .. وكانت تخشى أن أقول كلمة أو أفعل شيئاً يسبب المتابعة ..

ولهذا فقد عزلت نفسى فى حجرة نومى .. وكنت أقضى وقتى فى القراءة .. أو فى الجلوس فى المطبخ مع بيجوتي .. وعندما يكون مISTER ماردىستون وأخته موجودين .. كنت ألزم الصمت تماماً ولا أنبس بكلمة ..

وقال مISTER ماردىستون إنى ذو شخصية انعزالية كثيبة .. ثم أضاف :

- وعليك ان تغير تلك الشخصية .. إنك تتتجنب الجلوس معنا فى غرفة المعيشة .. وتغير ماماً لوكانا مصابين بأمراض خطيرة ..

ولذلك فقد اضطررت أن أجلس صامتاً وحزيناً فى غرفة المعيشة يوماً وراء يوم .. وكانت أئتمني حلول النساء حتى أتمكن من مغادرة الغرفة والتوجه إلى غرفة نومى لأنقى وحيداً .. وبعيداً !

وسمعنا صوت عجلات أحدى العربات وهى تتوقف عند باب البيت .. لقد وصل مISTER ماردىستون وأخته .. وعندما مد يده ليصافحنى .. نفس اليد التى عضبتها شربينى .. رأيت علامات حمراء مكان العضة ..  
وعندما كنت أحىسى مس ماردىستون وأصافحها بيدى ، سالتقى :

- ما هي مدة الأجازة ؟

فقلت لها :

- مدتها شهر واحد ..

وأحضرت مس ماردىستون ورقة وقلم .. وكتبت أيام هذا الشهر يوماً يوماً .. وفي كل صباح كانت تشطب على كل يوم يمر ..

لم تكن أجازة سعيدة بأى حال .. وكان من الواضح تماماً أن مISTER ماردىستون وأخته لايطيقانى .. وفي حضورهما كانت أمى تخشى أن تبدر منها آية بادرة

وأخيراً انتهت أيام الأجازة .. وقالت مس مارستون وهي تشطب آخر خانة في ورقها :

ـ ها هو اليوم الأخير .. !

ووصلت عربة مسْتَر باركيس إلى باب البيت ..  
ووضعت فيها صناديق .. وعندما قبّلته أمي ، قالت  
لها مس مارستون :

ـ كلّرا ! .. كوني حازمة !!

وتحركت العربية ببطء ..

وعندما التفت خلفي .. رأيت أمي مازالت واقفة  
 عند باب البيت حاملة على ذراعيها طفلها الرضيع ..  
وكانت هذه آخر مرة .. أرى فيها أمي على قيد  
الحياة .. !

## ١١ - وفقدت أمي ..

وبعد نحو شهرين من عودتي إلى سالم هاوس ..  
دخل مسْتَر شارب إلى حجرة الدراسة ، وطلب مني  
أن أذهب لقابلة الناظر مسْتَر كريكل .. واعتقدت أن  
هدية وصلتني من بيجوتى ..

كان مسْتَر كريكل يتناول طعام إفطاره .. وبجواره  
جلس زوجته وفي يدها خطاب مفتوح .. وطالبت مني  
مسز كريكل أن أجلس فجلست .. وقامت من مقعدها  
وجلست بجواري .. وقالت :

ـ هناك شيء أريد أن أخبرك به يابنى .. ان  
أمك مريضة جدا .. !

وفي مساء ذلك اليوم . جاءت بيجوتي الى حجرة نومي . وجلست بجوار سريرى . وقالت :

ـ لم تعد صحتها فى حالة جيدة منذ مدة طويلة ..  
ولم تكن سعيدة فى حياتها .. كانت تغنى لطفلها الرضيع بنعومة وحزن .. وكانت خائفة بصفة مستمرة ، بل وكان خوفها يزداد يوما بعد يوم .. وكانت بعض الكلمات القاسية التي توجه اليها أحيانا مثل الضربات الشديدة .. وفي احدى الليالي استدعتنى وقالت لي :

ـ بيجوتي ياعزيزتى .. انى اعتقد بانى فى طرقى الى الموت .. لقد تعبت تماما من حياتى .. ولو كان الموت مثل النوم ، فابقى بجوارى حتى ائام .. ضملى يدك تحت رأسى وأديرى وجهى نحوك .. ان وجهك يبدو بعيدا بعيدا .. وانا اريد بقربى ..

وماتت .. كما لو كانت طفلا صغيرا تسلل النوم الى عينيه ..

بكى فورا وانهمرت دموعى .. ثم قالت مسر كريكل :

ـ كان مرضها خطيرا للغاية ..  
وتوقعت كلماتها التالية :  
ـ لقد ماتت !

وبعد ظهر اليوم التالي غادرت سالما هاوس ..  
وعندما وصلت الى يارماوث لاستقل عربة مسافر باركيسلاحظت ان مسح باركيس غير موجود .. وأن شابا بدأنا احمر الوجه قد حل محله ..

واستقبلتني بيجوتي عند الباب .. ودخلت بن الى البيت وهى تبكي وتتحدث فى همس كما لو كانت تخشى أن توقظ سيدتها التي ماتت ..

وفي غرفة المعيشة كان مسح مارستون جالسا يبكي .. بينما انهملت أخته فى الكتابة على بعض الأوراق ..

وحضرنا جميعا دفن أمى .. ووقفنا طويلا عند قبرها ..

## ١٢ - بيجوتي تتزوج

وبعد فترة قصيرة من دفن امى فى قبرها ..  
قامت مس ماردستون باستدعاء بيجوتي ، وأخبرتها  
بأنها لم تعد فى حاجة الى خدماتها ، وأن عليها أن  
تغادر البيت .

وقررت بيجوتي أن تذهب لتعيش في بيت أخيها  
حتى تتحقق بعمل آخر مناسب . وقالت لى بيجوتي  
وهي تشرح الموضوع :

- والآن .. اعتقد ان مس ماردستون وأخته

لا يريدانك معهما في الوقت الحاضر .. واعتقد  
سيسمحان لك أن تذهب، معى ..

وبالفعل ، وافقت مس ماردستون على ذهابي مع  
بيجوتى ..

وعندما وصلت عربة مس ماركيس .. وضمننا  
فيها صناديقنا .. وطوال الطريق كان مس ماركيس  
يتصرف بأدب باللغ .. ولم يتكلم سوى كلمات قليلة  
وعندما وصلنا الى نهاية الرحلة في يارماوث ، انحنى  
بى جانبا وسألنى :

- هل تعلم من هو المستعد ؟ .. « باركيس  
مستعد » ١٠٠

وبينما كنا نترجع في الطريق إلى بيت أخيها  
سألتني بيجوتي :

- دافيد يا عزيزي .. ماذا تقول اذا أنا قبلت  
الزواج منه ؟



- من مستر باركيس ؟ .. اعتقد أن هذا سيكون أفضل شيء .. فسوف يكون لديك في هذه الحالة عربة وحصان .. وستستطيعين دائمًا أن تحضرى لزيارتى ..

ومرت الأيام في بيت مستر بيجوتى .. أيام متعاثلة كغيرها من الأيام التي مضت .. ولكن لم تعد - أنا وأميلى الصغيرة - نقشى ونمرح على الرمال .. فقد انشغلت الآن بمذاكرة دروسها بالإضافة إلى ما كانت تؤديه من أعمال البيت ..

ولاشك في أنها كانت تحبني .. وتضحك لي وتداعبني دائمًا .. لقد نضجت الآن ولم تعد طفلة صغيرة كما كانت من قبيل ..

وكان مستر باركيس يحضر كل مساء حاملاً معه هدية لبيجوتى .. بعض الفواكه .. أو طير في قفص .. أو قطعة من اللحم .. أو أشياء أخرى غريبة ..

وكان يأخذ بيجوتى للنزهة في بعض الأحيان .. وحينما كانت تعود من تلك النزهات كانت تضحك ..

وفي احدى المرات صحبنا مستر باركيس - أنا  
واميلى وبيجرتى - فى عربته .. وعندما وصلنا الى  
الكنيسة توجه هر وبيجرتى الى الداخل وتركانا وحدنا  
بالعربة .

وبعد فترة خرجا من الكنيسة . وسألنى مستر  
باركيس :

- هل تذكر الاسم الذى كتبه على جانب العربة ..  
لقد كان كلارا بيجرتى .. لقد تغير هذا الاسم الآن  
وأصبح : كلارا باركيس .. !

لقد تزوجا ١٠٠

### الجزء الثالث

## الشباب ..

## ١٣ - وخرجت الى العالم

حان الوقت بعد ذلك لكي أعود الى البيت ..  
وأخذنى باركيس فى عربته ، وكانت بيوجوتي تركب  
معنا .. وعندما وصلنا . انزلانى أمام البوابة وتركانى  
وحدى .. وأخذتني الدهشة حين رأيت العربية تمضي  
في طريقها آخذة معها . بيوجوتي دون أن تنزل معى ..

وهكذا بدأت أكثر الفترات ظلاما وشقاء في تاريخ  
حياتي .. فقد كان مسiter مارستون يكرهنى  
ولا يطيقنى . وكذلك كانت أخته .. فلم يتحدثا معي  
على الإطلاق .. وعشت كالغريب في بيتي . وأصبحت

أفضل أن أعيش في أية مدرسة مهما كانت صعبة  
الظروف والأحوال ، فهذا أفضل بكثير من الحياة بمثل  
هذا الشكل .

و كانت بيجوتى تحضر لزيارتى كل أسبوع ..  
و كنت أقضى وقتى كله بين كتب القصص والروايات ..  
و كنت اعتبر هذه الكتب خير أصدقائى .

وفي أحد الايام وصل الى البيت رجل اسمه مسٹر  
کوینیون . واستدعاني مسٹر مارڈستون الى غرفة  
الجلوس وقال :

- هذا مسٹر کوینیون . الموظف بشركة مارڈستون  
وشركاه بلدن . ستدهب لتعلم معه في مكتبه  
بالشركة . وستعيش هناك في غرفة مستأجرة بمنزل  
احد الأشخاص .

وهكذا وجدت نفسي في النهاية جالسا جنبا إلى  
جنب مع مسٹر کوینیون في العربية المسافرة إلى لندن ..  
وأنا لم أزل ولدًا صغيرا . يخرج وحيدا إلى العالم ..

## ١٤ - بداية العمل

ركان يعمل في المكتب ثلاثة أولاد آخرين . لم  
يُجارِب معهم ، وشعرت بقدر كبير من التعب . وفِي  
ذلك اليوم الأول للعمل في هذا المكتب ، ظلّلنا نعمل حتى  
اساعة الثانية عشرة ظهرا . واستدعاني مسٹر  
کوینیون إلى حجرة مكتبه . وهناك رأيت رجلاً بدینا  
يرتدى معطفاً بني اللون . وكان اسمه مسٹر میکاوبير .

قال مسٹر کوینیون :

- هذا هو الغلام ..  
هقال مسٹر میکاوبير باهتمام ووقار وأدب :



١٢١

مستر ميكاوبر .

- اذن هذا هو مستر كوبريفيلد ؟ .. أرجو أن تكون في خير حال يا مستر كوبريفيلد .. !  
شكريته ، وتمنيت له نفس الشيء . فقال بنفس الطريقة الوقورة المؤدية ..

- شكراً الله .. أنا في حالة طيبة .. لقد تلقيت خطاباً من مستر مارستون يطلب مني فيه أن استضيفك في منزلي .. وستسكن في أحدى الغرف التي لا احتاجها في الوقت الحالى .

**وقال مستر كوبينيون :**

- لقد استأجرنا لك غرفة في بيت مستر ميكاوبر .

**وقال مستر ميكاوبر :**

- عنوانى هو : وندسور هاوس . سيدنى رود ، « وباختصار » فانا أعيش هناك .

وقد لاحظت منذ البداية أن مستر ميكاوبر كان يقول العديد من الكلمات باسلوب معقد قليلاً ثم يقول كلمة « باختصار » ويقول نفس الكلمات بطريقة سهلة

١٢٠

كانت مسر ميكاؤبر مسكنة حقا .. وكانت تبذل كل مافي وسعها لمساعدة زوجها في تلك الأزمة .. فقد علقت على باب بيتها لافتة كتبت عليها :

« مدرسة مسر ميكاؤبر لتعليم الفتيات » .. ومع ذلك فلم تحضر الى البيت فتاة واحدة .. والذين كانوا يحضرون الى البيت هم بعض الدائنين الذين كانوا يصرخون في وجه مستر ميكاؤبر ويطالبونه برد ديوفهم ..

وكان هناك مجموعة اخرى من الدائنين يصرخون ويهددون مستر ميكاؤبر حين كان يسير في الشارع .. ومجموعة ثالثة يطلقون تهديداتهم وصراخهم وهم يقفون تحت نوافذ البيت ..

وحينئذ كان مستر ميكاؤبر يشعر بعنقها العاتسة ويقول انه يجب أن يقتل نفسه وينتحر ليتخلص من كل ذلك .. ولكن بعد مرور أقل من نصف ساعة ، كان - وباللفرابة ! - يشرع في تنظيف حذائه ، ويخرج من البيت وهو يغنى أغنية مرحة ويشعر بسعادة غامرة ..

محضرة .. كانت هذه هي طريقة المعتادة في الحديث .. وبهذه الطريقة قال لي مستر ميكاؤبر :

- اعتقد انك لم تتعرف حتى الان على شوارع هذه المدينة الكبيرة .. من المتوقع أنك ستتجدد صعوبة وعناء حتى تكتشف الم .. ئي أعيش فيه .. وبالاختصار .. سوف تقصد سرير رنته ولهذا فسوف أحضر في المساء لاصحبك معى لأريك الطريق الى هذا البيت ..  
وارتدى مستر ميكاؤبر قبعته وغادر المكتب ..

وعند حلول المساء ، عاد مرة أخرى ليأخذنى معه الى بيته .. وهناك رأيت زوجته مسر ميكاؤبر وأبناءه الأربع .. وقالت لي مسر ميكاؤبر :

- لم أكن أظن مطلقا حين كنت أعيش في بيت أمي وأبي .. أن يوما ما سيأتى وأضطر فيه لتأجير احدى الغرف في بيتي ليعيش فيها أحد الغرباء .. ولكن مستر ميكاؤبر يعاني من بعض الصعوبات المالية .. ولا يترك له دائنه فرصة من الوقت حتى يمكن من رد ديوفهم ..

ولكنهما كانا لا يجرسان على الخروج من البيت ومعهما  
أى شيء يريدان بيعه ، فقد كان الدائتون يتربصون بهما  
ويراقبونهما لمنعهما من بيع أى شيء من حاجيات  
البيت .

ولذلك فقد كنت أتولى هذا الموضوع نيابة عنهم ..  
كنت أخرج من البيت ومعي بعض الكتب أو بعض قطع  
الفضيات .. أخبتها في جيوبى أو تحت معطفى ،  
وأذهب لبيعها وأعود سريعاً لأعطيهما الثمن ..  
واخيراً جاءت النهاية .. وطلب الدائتون ادخال  
مستر ميكابر إلى السجن<sup>(١)</sup> . وفي تلك الليلة زرته  
بالسجن وتناولت معه طعام العشاء . ثم عدت إلى  
مسر ميكابر لأواسيسها .  
وفوجئت بأن الدائتين قد أخذوا كل ثاث البيت ،

(١) كان هناك قانون في إنجلترا يقضى بسجن المدينين الذين  
يجهزون عن سداد ديونهم . وفي مثل هذه الحالة كان يجوز للسجنين  
أن يصحب معه أسرته إلى السجن حتى تجد طعامها .

وكانت مسر ميكابر على شاكلته . ففى الساعة  
ال السادسة مثلاً ، أراها راقدة على الأرض وهى تبكي ..  
ولكن قبل مرور أقل من ساعة ، كنت أراها فى قمة  
البهجة والسرور .. وتحكى لى الكثير من القصص  
عن أمها وأبيها .. وعن البيت الذى كانت تعيش فيه  
قبل أن تنزوج .

وفى أحدى الأمسيات عاد مستر ميكابر إلى البيت  
حزيناً . وأخذ بيكتى عندما بدأ فى تناول عشاءه . وقال  
أن الأمور قد تأزمت ولم يعد باقياً سوى أن يرسله  
دائته إلى السجن بسبب عجزه عن سداد ديونهم ..  
ولكن عندما انتهى مستر ميكابر من تناول عشاءه ،  
أخذ يغنى أغنية مرحة .. وقبل أن يتجه إلى سريره  
للنوم ، أخذ يحسب تكاليف عمل نوافذ كبيرة للبيت  
بدلاً من تلك النوافذ الضيقة .. وذلك عندما تتحسن  
الأحوال .. !

ولكن الأحوال لم تتحسن ، بل واخذ الزوجان  
يبقىان بعض الأشياء من بيتهما للحصول على الطعام .

عشرين جنيها الا ستة بنسات .. فسوف تعيش سعيدا مسرورا .. أما اذا تجاوز اتفاقك السنوى العشرين جنيها ولو بستة بنسات .. فسوف يحل الشقاء والخراب .. ستدبل الزهور .. وتجف اوراق الشجر .. وتغيب الشمس فى الصحراء .. باختصار .. ستصبح مفلسا .. مثلى تماما .. !!  
حتى يؤكد مISTER ميكابير نصيحته تلك ، أخذ يغنى ويرقص ..

وفي صباح اليوم التالى ، رحلوا وتركوني وحدي ولم يعد أمامى سوى أن أقرر الذهاب الى عمتى الكجرى مس بيسى تروتورو .. قريبتى الوحيدة التى أعرفها وهكذا جمعت حاجياتى القليلة ووضعتها فى صندوق .. وخرجت الى الطريق .. وعند احدى التواصى ، رأيت شابا يقف بجوار عربة ، فقلت له :  
ـ هل يمكنك ان تحمل هذا الصندوق حتى تضعه فى العربة المسافرة الى دوفر .. كم تريد مقابلا لذلك ؟ ..

ولم يترکوا سوى منضدة وبضع مقاعد قليلة .. وقد عشتنا بعض الأيام وسط هذه البقايا البائسة ، الى ان اضطررت مسر ميكابير الى أن تذهب سمعها ايناؤها - لتعيش مع زوجها فى سجنها .. واضطربت انا بالمالى الى مغادرة البيت .. وعشت فى حجرة أخرى فى مكان قريب من السجن .. وقد اعتدت على زياراة مISTER ميكابير وأسرته فى السجن كل مساء ..

وبعد فترة أطلق سراحهم .. فخرجوا من السجن وجاءوا ليعشوا معى حيث كنت اعيش .. ثم قرروا الرحيل الى مدينة بلايموث .. وفي مساء يوم الاحد السابق لهذا الرحيل ، تناولنا جميعا طعام العشاء معا .. والقى مISTER ميكابير خطبة قال فيها :

- يا صديقى الصغير .. يا صديقى العزيز .. أنا أكبر منك سنًا .. وأكثر منك خبرة فى الحياة .. والى أن تتصلح الأحوال .. وهذا ما اتوقعه .. فليس لدى ما أمنحك آياه سوى نصيحة واحدة .. ونصيحتى هي : اذا كان دخلك السنوى عشرين جنيها ، وانفاقك السنوى

**فقال الشاب :**

ـ ستة بنسات ..

وبالرغم من عدم ارتياحى لمنظر ذلك الشاب . فقد وافقت ، ووضعت الصندوق على العربية الصغيرة هالتي كان يقف بجوارها . واخرجت حافظة نقودى لاعطيه اجره الذى اتفقنا عليه .. وفجأة انقض الشاب على حافظة النقود وخطفها من يدي . وانطلق هاربا بأقصى سرعة ..

وفى اللحظة التالية ، أصبحت مقلاسا وبلا نقود .. ولم أعد أمتلك شيئا فى هذا العالم .. وهكذا بدأت طريقى الى دوفر .. سيرا على الاقدام !

وعندما وصلت الى بلاك هيث ، قضيت الليل نائما فى احد الحقول بالقرب من مدرستى القديمة سالم ماوس .. وفي صباح اليوم التالى عاودت السير حتى وصلت الى روشنستير ، ومنها توجهت الى شاتهام .. وهناك قررت ان ابيع معطفى لاحصل بثمنه على طعام بسد جوعى ..

ودخلت الى مكان صنير ، يجلس فيه رجل عجوز له شكل قبيح . وبمجرد أن رأنى ، قال على الفور :

ـ آه ياعينى ! .. آه يارجلى ! .. ماذا تريد ؟ ..  
أوه .. آه يا اذنى ! .. آه ياذراعى ! .. ماذا تريد ..  
جرررررر .. !!

**قلت له متدهشا :**

ـ أريد أن أعرف .. هل يمكن أن تشتري معطفا ..  
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بنسات !

**فقال العجوز على الفور :**

ـ أوه .. آه ياقلبنى .. آه يابطنى ! .. لا ..  
أعطيك فقط شلنا واحدا وستة بنسات !

وافقت .. ولكنه لم يعطنى النقود على الفور ..  
وانتظر فترة طويلة .. ثم بدا يعطيني النقود فى عملات صغيرة أخذ يعدما بيشه .. كل نصف بنس وراء الآخر ..

فقال مستر ديك :

ـ اوه .. نعم نعم ..

وقالت عمتى :

ـ الان .. لا تنتظار بالجنة بينما أنت في  
الحقيقة رجل ذكي .. هذا هو ديفيد كوبريفيلد ..  
أخبرنى .. ماذا أفعل معه ؟ !

فقال مستر ديك وهو ينظر نحوى :

ـ دعوه يستحم !

وأعطونى حماما .. ثم تناولنا العشاء معا ..  
وحكىت لعمتى كل ماحدث .. وكانت عمتى مستغرقة  
في الانتصارات .. ثم قالت :

ـ أنى لا أستطيع أن أفهم لماذا يتزوج الناس ..  
ان أمه قد تزوجت .. ثم تزوجت مرة أخرى .. وتلك  
المرأة بيجوتى .. تزوجت هي الأخرى !

ثم واصلت بعد ذلك السير حتى وصلت الى  
دوف .. والى الكوخ الذى تعيش فيه عمتى الكبرى ..  
ورأيتها وهى تقف فى الحديقة الملحة بالکوخ ..  
وصرخت بمجرد أن شاهدتني اقترب :

ـ ابتعد عن هنا .. لا أريد أولادا فى هذا  
المكان !!

فقلت لها متوسلا :

ـ لو سمحت يامس بيتسى .. أنا ديفيد كوبريفيلد ..  
لقد ماتت أمى وأصبحت بائسا .. !

شم انفجرت فى البكاء ولم استطع أن أواصل  
الكلام .. وعندئذ طلبت عمتى من الخادمة أن تستدعى  
مستر ديك ..

ووصل مستر ديك بسرعة .. وكان يبدو شبه  
مجنون على نحو ما .. وقالت له عمتى :

ـ مستر ديك .. هذا هو ديفيد كوبريفيلد !

والتقت عمتى الى مسiter ديك وقالت له :

ـ والآن يامستير ديك .. اخبرنى ماذا افعل معه  
ايسا ..

فقال مسiter ديك :

ـ علينا ان نخضعه في السرير لينام ..

## ١٥ - قرار عمتى

كانت عمتى جالسة الى عائدة الافطار حين قالت  
لـى :

ـ لقد كتبت الى مسiter مارديستون .. والآن بعد  
أن تناولت افطارك ، عليك بالصعود الى السطح حيث  
مسiter ديك .

فقلت :

ـ حاضر !

وقالت :

ـ انه قريبي ..

وقلت :

ـ هل هو مجنون قليلاً ..

قالت :

ـ كان أخوه ينوى ايداعه في دار للعجزين ..  
ولكنى انقذته من هذا المصير ، وسمحت له بأن يعيش  
في بيته .. انه رجل عظوف جداً .. وكثيراً ما يقول  
نصائح طيبة بالرغم من أنه مجنون قليلاً .. فهو يتحدث  
كثيراً عن رأس الملك تشارلس المقطوعة<sup>(١)</sup> .. وهو  
يكتب شكاوى كثيرة يقول أنه ينوى أن يرسلها إلى  
القاضى ليشرح له فيها أحواله وشئونه وأعماله ..  
ولكن رأس الملك تشارلس تظهر دائماً للتتدخل في هذه  
الشكواوى .. ولذلك يبدأ في كتابة شكاوى أخرى  
غيرها ..

وصدقت الى السطح .. الى مستر ديك الذى

(١) كان اباع كرومويل قد نفروا رأس الملك تشارلس الاول  
في سنة ١٦٤٩ م .

أراني « طيارة ورقية » ذات خط طويل ومغطاة كلها  
 بشكاوى مكتوبة تتحدث عن رأس الملك تشارلس  
 المقطوعة .. وقال مسخر ديك :

ـ بهذه الطيارة أرسل أفكارى الى العالم ..  
وكلما صعدت الطيارة الى عنان السماء .. كلما صعدت  
 أفكارى الى اعلى واعلى .. !

وبعد عدة أيام وصل مسخر ماردستون وأخته مس  
 ماردستون الى بيت عمتي .. وجلسا .. وقالت عمتي :

ـ انت اذن مسخر ماردستون الذي تزوج مسخر  
 كوبرفيلد ..

فقال مسخر ماردستون :

ـ نعم .. هو انا ..

وقالت عمتي وهي تشير الى :

ـ وهذا هو ابنها ..

فقال مسخر ماردستون مؤكداً :

فالتفتت عمتى الى مستر ديك وسالتة :

- والآن يامستر ديك .. ماذا افعل معه !؟ ..

واخذ مستر ديك يفك طويلا . ثم قال :

- يجب ان اشتري له بعض الملابس !

وهنا التفتت عمتى الى مستر مارديستون وقالت له :

- ساحتفظ بالولد .. وانا لا أصدق كلمة واحدة  
ما قلت عنه .. أنا اعرف ماحدث تماما .. قبل أن  
تنزوج امه قلت لها انك ستتصبح ابا ثانيا لابنها ..  
ولكن بعد ان تزوجتها أجبرتها على ان تغير مشاعرها  
نحو ابنتها .. لقد كانت امرأة عطوفة طيبة ، ولكنك  
كنت تقسو عليها وتقتضي على ابنتها .. تارهه لأن  
مجرد رؤيتها كانت تذكرك بمنى قسوتك ..

. . . . . وعندئذ وقف مستر مارديستون بجوار الباب ،  
وكان يبدو شاحب الوجه . وقالت عمتى :

- وداعا لك .. وداعا يامس مارديستون ..

- نعم .. ولقد فر هاربا من اصدقائه بعد ان ترك  
عمله .. لقد سبب لنا الكثير من المتاعب !

وعقبت مس مارديستون على كلامه قائلة :

- انه دون جميع الأولاد .. اسوأ ولد في العالم !

ثم واصل مستر مارديستون كلامه :

- لقد جئت لأعيده معى اذا كان هو مستعدا  
للعودة .. أما اذا كان غير راغب في ذلك فسوف أغلق  
في وجهه أبوابى .. وأظن انك في هذه الحالة ستفتحن  
له أبوابك !

والتفتت عمتى الى وسالتني :

- هاه .. ما رأيك ؟ .. هل ت يريد العودة معه !؟

فاجابت على الفور :

- لا .. لا .. انهم يكرهانى .. ولم يعطفا على  
أبدا .. لقد جعلا أمى تعيش حياة تعيسة ..  
أرجوك .. أرجوك يا عمتى .. لا ترسليني معهما ! ..

## ١٦ - وبدأت بداية جديدة

سرعان ما أصبحت أنا ومستر ديك أصدقاء مخلصين . وكثيراً ماكنا نخرج معاً لتعطير « طيارته الورقية » الكبرى . وكان يقضى ساعات طويلة كل يوم يعمل بهمة في كتابة الخطاب الذي ينوى ارساله إلى القاضى . ولكنـ كان لا ينتهي من هذا الخطاب اطلاقاً . لأن سيرة الملك تشارلس الأول كانت تفرض نفسها على موضوع الخطاب مما حاول هو أن يتلافي ذكر هذه السيرة . وعندئذ كان يتوقف عن الكتابة ، ويشرع على الفور في كتابة خطاب جديد . وكانت « الطيارة » مصنوعة بأكملها من أوراق

وبعد أن رحل مستر مارستون واخته .. قبلت عمتي .. وصافحت مستر ديك .. وقالت عمتي :  
ـ من الآن سأدعوك : ديفيد تروتوود كبرفيلد !  
وهكذا بدأت حياة جديدة .. باسم جديد ..  
وهكذا ذهبت جميع الحوادث التي جرت لى فيما مضى بعيداً بعيداً .. وأصبحت مجرد ذكريات ..

ومكذا سافرنا فى صباح الغد الى كانتربرى ..  
وعندما وصلنا الى هناك قالت عمتى :

ـ علينا ان نذهب اولا الى بيت مستر ويكليلد ..  
انه محام !

ووقفنا امام بيت قديم جدا ، تبرز نوافذه مطلة  
على الشارع . وتؤدى الى بابه درجتان حجريتان  
شديدتان البياض .. اما النوافذ فقد كانت مصنوعة  
من مربعات زجاجية صغيرة غريبة الشكل ..

وعندما توقفت العربية امام باب البيت .. رأيت  
وجها ابيض يطل من احدى النوافذ .. ثم فتح لنا الباب  
رجل اسنه يورياه هيب له وجه ابيض ، وعينان لها  
لون هو مزيج من الاحمر والبني ، وكتنان مرتفعان ،  
وذراعان طويتان نحيفتان .. وقد لاحظت ذلك عندما  
وقف هذا الرجل بجوار الحصان الذى يجر العربة ،  
وبدا يربت على خده .. وسألته عمتى :

ـ يورياه هيب .. هل مستر ويكليلد موجود  
بالبيت .. ؟

الخطابات التى توقف عن اكمالها والقامت جانبا .  
وعندما كان يشرع فى تطوير « الطيارة » ، كان يبدو فى  
قمة الاحساس بالسلام والسعادة . وعندما كانت  
الطيارة تبتعد عاليا فى عنان السماء ، كانت تبدو كما  
لو كانت قد أبعدت شعرة الجنون عن عقله ١٠٠ ما حين  
كانت تبطى الى الارض و تستقر عليها ، فقد كانت تبدو  
فى نظره كشيء ميت لا حول له ولا قوة ، وعندئذ كان  
يشعر كما لو انه قد افاق من حلم .. وانه هو والطيارة  
قد هبطا الى الارض معا .. وعندئذ كنت اشقق عليه  
واشعر بالحزن والأسف من اجله ..

وأصبحت عمتى شديدة العطف على ، واختصرت  
اسمى الى « تروت » بدلا من « تروتوود » .. وفي احدى  
الامسيات قالت لي عمتى :

ـ تروت .. يجب الا ننسى موضوع دراستك ..  
فهل تحب ان تذهب الى مدرسة فى كانتربرى .. ؟  
ـ نعم .. احب ذلك كثيرا ..  
ـ عظيم .. هل تحب ان تلتحق بالمدرسة غدا .. ؟



ودخل مISTER ويكفيلد الى الحجرة .

١٤٣

- نعم .. مISTER ويكفيلد موجود بالبيت .

وأشار اليها بذراعه الطويلة الى مكان حجرة الاستقبال .. وفوق رف المدفأة التي تتصدر الحجرة ، رأيت صورة لجنتلمن رمادي الشعر ، تقف الى جانبه سيدة جميلة ذات ملامح طيبة وديعة .

وبعد لحظات دخل اليها MISTER ويكفيلد .. انه نفس الجنتلمن الذى يظهر فى الصورة ، وان كان يبدو الان اكبر عمراً ببعض سنوات .

**وقال لعمته :**

- أهلا بك يا مس تروتوود .. ما سبب حضورك الى هنا ؟ ..

**فقالت عمتى :**

- هذا هو دافيد تروتوود كويرفيلد .. وانا عنده الكجرى .. انى ابحث له عن مدرسة يتعلم فيها جيداً ويعامل فيها معاملة حسنة .. اخبرنى اين اجد هنا مثل هذه المدرسة ؟ ..

١٤٢

وقال مستر ويكتيلد :

- توجد هنا مدرسة جيدة .. ولكن دافيد لن يمكنه أن يعيش فيها في الوقت الحاضر .. ومع ذلك فسأخبرك بما يجب عليك أن تعلمه .. أتركيه هنا .. انه ولد هادئ .. وبطبيعة بيت هادئ .. أتركيه معى في هذا البيت ١

شكريه عمتى شكراء جزيلا .. وواصل مستر ويكتيلد حديثه :

- تعالى معى لأريك المشرفة الصغيرة التي تتولى شئون هذا البيت ..

وصلد بنا إلى الطابق العلوي .. ودخلنا إلى حجرة منظمة ذات رونق جميل ، رأينا فيها فتاة جميلة في مثل عمري ، سرعان ما هبته واقفة واتجهت إلى مستر ويكتيلد وأخذت تقبله .. كانت الفتاة تشبه تماما المرأة الجميلة المرسومة في الصورة .. نفس الجمال الهادئ الوديع الذي لم أنسه أبدا .. بل ولن أنساه أبدا ..

وقال مستر ويكتيلد :

- هذه هي ابنتي أجنس ..

ثم التفت إلى ابنته وقال :

- أجنس .. دافيد كوبرفيلد ضيفنا وسيبقى معنا .. من فضلك أريه حجرة ..

وبعد أن ذهبنا جميعا لنرى الحجرة ، قررت عمتى أن تعود بسرعة إلى دوفر لتصليها قبل أن يحل الظلام .. ولكن قبل رحيلها انفردت بي وقالت تنصعني :

- تروت .. حافظ على نفسك وكن محترما ..  
وعليك أن تلتزم بكل ما يشرفني ويشرف مستر ديك ..  
والله معك ويتولاك .. كن أمينا في كل شيء .. واياك  
أن تصبيع كاذبا أو مخادعا .. ولا تكون قاسيا .. والآن  
على أن أرحل فورا ..

وقبلتني بسرعة ، وخرجت من الحجرة بعد أن  
أغلقت على بابها .. ولذلك فقد اعتقدت أن عمتى غاضبة  
مني .. ولكنني عندما نظرت خلال النافذة التي تطل على  
الشارع .. رأيت كم هي حزينة وهى تدخل إلى

العربة .. لقد تظاهرت بالغضب لتخفي مشاعرها  
الحقيقة ..

وفي المساء تناولت العشاء مع مستر ويكتيلد وابنته  
آجنس .. وبعد أن انتهينا من العشاء ، غنت آجنس  
أغنية طفيفة .. ثم قبلت أبيها قبلة المساء وذهبت إلى  
حجرتها للنوم ..

أما أنا فقد خرجت لأتجول قليلاً في الأماكن  
القريبة .. ورأيت عدداً كبيراً من البيوت القديمة  
والكنائس .. وعندما عدت إلى البيت ، رأيت يورياه  
هيب وهو يغلق أبواب المكتب ..

ولما كنتأشعر بالصداقة والود نحو الجميع ، فقد  
جلست قليلاً مع يورياه وتحادثنا لبعض دقائق ..  
ومددت يدي لأصافحه قبل أن أصعد إلى حجرتي ..  
وكم كانت يده باردة .. لقد أخذت أمسح يدي بعد ذلك  
كما لو كنت أريد أن أحشو آثار يده ..

وعندما رقدت على السرير .. كنت لم أزل أحس  
بعقلـي .. ملمس يده الباردة المبتلة ..

## ١٧ - آجنس

في صباح اليوم التالي ، ذهبت مع مستر ويكتيلد  
إلى المدرسة .. كانت بناءً ذا مظهر وقرر ، يقع وسط  
ساحة واسعة .. وقدمني مستر ويكتيلد إلى الدكتور  
ستروننج ناظر المدرسة .. وكان رجلاً غير مهندم ويعلو  
التراب ثيابه ، وله شعر رأس أطول من المعتاد ..

نظر الدكتور ستروننج إلى بعيدين باردين .. وقال  
أنه مسروor لرؤيتي .. ومد يده ليصافحني .. وكانت  
تجلس بجانبه شابة صغيرة شديدة الجمال ، ظننت في

البداية انها ابنته ، وعلمت فيما بعد انها مسر سترونج .. زوجته !

وصحبى الناظر ليرشدنى الى حجرة الدراسة ، حيث رأيت نحو أربعة وعشرين تلميذا ، كلهم كانوا مشغولين بمعطالية كتابهم . ووقفوا جميعا عندما دخل الناظر ، وأشار الى قائلا :

- هذا زميل جديد أيتها السادة الصغار .. اسمه تروتورد كورفيلد ..

وخرج من بين المقاعد صبي اسمه آدمز .. رحب بي .. وأرشدنى الى مقعدي .

وشعرت بالغرابة بين هؤلاء الأولاد .. فجميعهم لا يعرفون شيئا عن تجاربى السابقة .. كما انى لا اغرف شيئا عن كيفية العابهم وظرفهم فى التعامل .. وأخذت انفسل ماذا يظن هؤلاء الأولاد بي ، اذا علموا انى كنت اعيش مع اشخاص مثل ميكاؤير واسرتة .. او اذا كانوا قد شاهدونى حينما سرت على قدمى من لندن الى دوفر جائعا رث الشياط !! ..

لم اشعر بالارتياح بين هؤلاء الأولاد .. بل ربما شعرت بالخوف منهم .. لذلك فقد سارعت فى الانصراف عقب انتهاء اليوم الدراسي . وبمجرد وصولى الى بيت مستر ويكتيلد تبدلت مخاوفى وتعاسى . وجلست فى حجرتى المنظمة الجميلة اقرأ فىكتبى حتى حل موعد العشاء ، فنزلت الى الطابق السفلى ورأيت أجنس جالسة فى غرفة المعيشة . وبعد لحظات وصل والدها مستر ويكتيلد . وقال :

- ستكون سعيدا فى مدرسة الدكتور سترونج !

وبعد الانتهاء من تناول العشاء احضرت آجنس مجموعة من زجاجات الشراب ووضعتها على المائدة أمام مستر ويكتيلد الذى بدأ على الفور يحتسى الشراب كأسا وراء آخر .

وشرب مستر ويكتيلد كمية كبيرة .. وغشت آجنس بعض الأغانى القصيرة .. ثم جلست بجوار أبيها وأخذت تحادثه ..

أما أنا فقد أحضرت كتبى وبدأت فى مذاكرة دروسى .. وتفحصت أجنس بعض هذه الكتب ثم جلست بجوارى لتساعدنى فى المذاكرة ..

والآن .. بينما اكتب هذه الكلمات من قصة حياتى .. ما زلت أذكر تماماً كيف أحمسست بوداعتها وطبعها الهداء .. وكيف أحسست بصوتها الوديع العذب وهى تتكلم .. وما زلت إلى الآنأشعر بأفضالها على فى تلك الفترة وفيما بعد أيضاً ..

لقد أحببت من قبل أميلى الصغيرة .. ولكننى أصبحت أشعر بالفضل .. والوداعة .. والسلام .. والصدق .. أينما تكون أجنس ..

## ١٨ - يورياه هيب .. المتواضع

وبعد ذلك ذهب مسـتر ويـكـفـيلـاد إلى المكتـبـ ليـواـصـلـ عملـهـ .. وـفـيـ المـكـتـبـ رـأـيـتـ ضـوءـ خـافـقاـ .. وـرـأـيـتـ يـورـيـاهـ جـالـساـ وـيـقـرـاـ فـيـ كـتـابـ ضـخـمـ .. وـيـتـبـعـ كـلـ سـطـرـ يـقـرـأـ باـصـبـعـهـ .. فـقـلـتـ لـهـ :

ـ إنـكـ تـعـمـلـ حـتـىـ وـقـتـ مـتـأـخـرـ هـذـهـ اللـيـلـةـ يـاـيـورـيـادـ ..

ـ هـذـاـ صـحـيـحـ يـامـسـترـ كـوـبـرـفـيلـدـ .. وـلـكـنـىـ لاـ أـشـقـلـ الـآنـ بـاعـمـالـ المـكـتـبـ .. اـنـىـ أـدـرـسـ الـقـانـونـ ..

ـ تـدـرـسـ الـقـانـونـ ؟ .. كـنـتـ أـظـنـ أـنـكـ مـحـامـ كـبـيرـ ..



بوريه هيب .

١٥٣

- لا يامستير كوبريفيلد .. أنا شخص متواضع جدا .. وأنم أيضاً متواضع جدا .. وكان أبي أيضاً رجلاً متواضعاً .. ويعمل في مهنة متواضعة .. لقد كان خادماً في كنيسة ، ويقوم أيضاً بحفر القبور في ساحتها ..

فقالته :

- وأين هو الآن ؟ ..

- في السماء .. ولكن لدينا أشياء كثيرة نحمد الله عليها .. فاتنا أحمد الله لأنني عمل مع ماستر ويكيبلد .. وأتمنى أن أصبح محامياً ..

- وعندئذ ستشارك ماستر ويكيبلد في مكتبه .. وسيصبح اسم المكتب « ويكيبلد وهيب » ..

- لا يامستير كوبريفيلد .. انى متواضع جداً ولا اجرس على فعل ذلك .. ان عمتك سيدة لطيفة .. وكان يورياه هيب معتاداً على تحريك جسمه عندما

١٥٤

كان يتحدث بكلام طيب عن أى شخص .. و فعل ذلك  
عندما كان يحدثنى عن عمتى :

ـ انها سيدة لطيفة .. وهى معجبة كثيرا بمس  
آجنس .. أليس كذلك !؟ ..

فاجبته دون أن ادرى بما اقول :

ـ نعم .. نعم ..  
وسألني بورياه :

ـ وأنت أيضا معجب بها .. أنا متأكد من أنك  
معجب بها ..

فقلت :

ـ ان أى شخص لا بد أن يعجب بها !

ـ أوه .. شكرا لك يامستير كوبريفيلد على هذه  
الكلمات .. شكرا لك .. أنها كلمات صادقة !

وقام متاهيا للانصراف . وهو يقول :

ـ ان أمى تتوقع الآن عودتى .. لو أنك فكرت فى  
زيارتى فى بيتنا المتراء .. فسوف يسعدها ذلك  
كثيرا ..

ـ فقلت له أن ذلك سيسعدنى أيضا . وقال قبل أن  
ينصرف :

ـ ربما ستبقى هنا فى هذا البيت يامستير كوبريفيلد  
لمدة طويلة .. وربما ستتولى العمل بدلا من مسiter  
ويكفيلد فى النهاية ؟ !

ـ لا .. أنا لا أفكر فى مثل ذلك اطلاقا ..

ـ أوه .. أنا متأكد من أن ذلك سيحدث ..

ـ ووضع يده فى يدى ليصافحنى .. فاحسست  
بملمس يده وكأنها سمرة .. وحملت بذلك فى تلك  
الليلة ..

منذ نحو عام مضى من هذه الشابة الصفيرة الجميلة  
التي رأيتها معه .

وكان الدكتور يقوم بتأليف أحد الكتب .. ولكنه  
كان بطينا للغاية ، لدرجة الاحساس بأنه لن ينتهي  
من تأليف كتابه هذا قبل مرور ألف سنة ! .. ولكنه  
كان رجلا طيبا كثير العطف على الفقراء . ويحكى  
الأولاد قصة طريفة عن كرمه .. فقد أعطى محفظه لامرأة  
فقيرة .. ولكن المرأة باعت المحفظ لتشتري بشعنه خمرا  
تشربه .. وبعد مدة ، شاهد الدكتور المحفظ معروضا  
في أحد محلات ، فاشترأه دون أن يدرك أنه نفس محفظه  
الذى وهبه للمرأة .

واستلمت خطابا من بيوجوتي كتبت فيه بعض  
اخبارها .. قالت إن مستر مارستون وأخته من  
مارستون قد رحلا بعد أن أغلقا البيت .. وأن زوجها  
باركيس فى حالة طيبة ولكنه شديد الحرث على  
نقده .. وأن مستر بيوجوتي أيضا فى حالة طيبة .

## ١٩ — مدرسة الدكتور ستروننج

كانت مدرسة الدكتور ستروننج رائعة وعظيمة .  
وتخالف تماما عن مدرسة مستر كريكل . وكانت الثقة  
متبادلة بين التلاميذ والمدرسین .. وكان نشعر جميعا  
باننا مستولون عن نجاح المدرسة في إداء رسالتها .  
ولذلك فقد كنا نحب المدرسة ونعمل كل ما يشرفها  
ويشرفنا .

وكان بعض التلاميذ يعيشون في بيت الدكتور  
ستروننج .. وهم الذين أخبروني بأن الدكتور قد تزوج

وكذلك هام واميلى الصغيرة .. أما مسر جاميدج فقد  
كانت مريضة .

وكانت عمى تفاجئنى بالزيارة فى أوقات غير  
متوقعة لترى كيف تسير أحوالى .. ولكنها اطمأنت  
 تماماً بعد أن تأكّلت من حرصى على التعلم وإداء  
واجباتى . وكانت اذهب الى دوفر لزيارتها مرتة كل  
ثلاثة أو أربعة أسابيع .. أما مستر ديك فقد كان يحضر  
لزيارتى بصفة منتظمة كل يوم أربعاء .. وكان يحمل  
معه دائمًا حقيبة أوراقه وأخر ماتكتبه من خطابه العظيم  
الذى ينوى أن يرسله للقاضى ..

وأصبحت أيام الأربعاء هذه أسعد أيام مستر  
ديك .. أذ سرعان ما أصبح معروفاً ومحبوباً من جميع  
طلاب المدرسة .. كان لا يشار�م في اللعب ، ويكتفى  
بمشاهدة العاب التلاميذ وينفعل بها .. وكان  
يجد متعة عظيمة وهو يتفرج على الأولاد وهم يمرحون  
ويلعبون على الثلوج المتساقطة .

وكان مستر ديك يجيد صناعة لعب مثل القوارب  
والعربات الصغيرة .. يصنعها من مواد غريبة ويعلم  
الأولاد كيف يصنعونها .. ولذلك فقد أحبه جميع الأولاد  
وأصبحوا ينتظرون موعد مجئه للزيارة القادمة ..

وكان يحترم الدكتور سترونج .. ويقف أمامه بأدب  
بالغ بعد أن يخلع قبعته .. وسرعان ما أصبح هو  
والدكتور صديقين حميمين .. بل وببدأ الدكتور يتلو عليه  
بعض صفحات من الكتاب الذى يقوم بتاليفه .. وعندئذ  
كان مستر ديك ينصت بامتنان ويشرق وجهه بالسرور ..  
بالرغم من يقيني بأنه لا يفهم كلمة واحدة مما يقوله  
المستاذ ..

وسالته :

ـ هل مازلت تواصل دراسة القانون ..

فأجاب :

ـ ان قراءاتي لكتب القانون لا ترقى الى مستوى  
لدراسة .. ففي بعض الامسيات اقضى ساعة  
و ساعتين في قراءة كتاب القانون .. ولكنني أصادف  
بعض المصنوعيات .. فهناك بعض الكلمات والمصطلحات  
مكتوبة باللغة اللاتينية ولا استطيع أن أفهمها ..

ـ هل تحب أن أساعدك في تعلم اللاتينية ..

ـ أوه .. شكرًا لك يامستير كوبريفيلد على هذا  
العرض الطيب .. ولكنني متواضع وذليل ولا استحقه  
هانهن قد وصلنا الآن الى بيتنا المتواضع !

ودخلنا الى غرفة منخفضة السقف .. وقالت مسر  
هيبي (أم يورياد) وكانت تشبهه الى حد كبير وان كانت  
أقصر منه طولا .. وقد استقبلتني بتواضع شديد وهي  
تقول :

## ٢٠ - تناولت الشاي مع يورياد هيبي

وفي عصر أحد أيام الخميس . قابلت يورياد هيبي  
في الشارع . فقال لي :

ـ لقد وعدتني بأنك ستحضر لتناول الشاي معنا  
انا وأمي .. ولكنني أتوقع أنك لن تقبل هذه الدعوة ..  
فنحن ناس متواضعون جدا ..

وحتى تلك اللحظة ، لم أكن قد أدركت بعد هل أنا  
أحب يورياد هيبي أم أكرمه .. ولكنني أخبرته بأنني على  
استعداد لقبول دعوته . فقال :

ـ إن أمي ستكون فخورة بذلك ..

– ان هذا يوم لا ينسى يا عزيزى يورياه .. ان  
حضور مستر كوبريفيلد لزيارةنا يعتبر شرفًا كبيرا لنا ..  
ثم التفت الى وقالت :

– كان عزيزى يورياه يخشى أن يمنعك تواضعنا  
وقدرنا من تلك الزيارة التي وعدته بها .. فنحن  
متواضعون جدا وقراء .. وسنبقى هكذا دائمًا ..

فقلت مدهشا :

– ولكن على يقين من أنه ليست هناك حاجة لأن  
تكون متواضعين بهذا الشكل ..

فقالت ممز مهيب :

– شكرا لك يا سيدى !

وجلست ممز مهيب بالقرب منه .. وجلس يورياه  
مامى .. وأخذ يعطياني أفضل قطع الطعام الموجودة  
على المائدة ..

تحدثت عن خالاتهما وعماتهما ، فتحدثت عن

ـ عمتي .. ثم تحدثنا عن الآباء والأمهات ، فتحدثت عن  
أبى وأمى .. ولكنى توقفت فجأة بعد أن تذكرت أن  
عمتي نصحتنى بـلا أتحدث فى هذا الموضوع مع أحد ..

ـ ومع ذلك فقد فقدت المقاومة مع يورياه هيبوا مه  
الذين استدرجانى الى الحديث فى كل مكانا يرغبان  
معروفة .. حتى تلك الأشياء التى لم اكن ارغب فى  
ذكرها ..

ـ وعندما انتهيا من معرفة كل مكان يرغبان فيه ،  
حولا مجرى الحديث الى ذكر اخبار مستر ويكتيلد  
وابنته آجنـس .. الأشغال الكثيرة التى يعملها .. وكيف  
يقضى وقته بعد تناول عشاءه .. والخمر الكثيرة التى  
يشربها .. وهكذا وجدت نفسي متورطا فى ذكر جميع  
الأشياء التى لا يجب أن اذكرها ..

ـ وبذات اتعلمل وأرغب فى انهاء هذه الزيارة ..  
ـ وفجأة : رأيت رجلا كان يسير فى الشارع .. ولكنه  
توقف أمام باب الحجرة وأطل برأسه الى داخلها ،  
وصاح مدهشا :

كوبيرفيلد بقبول الدعوة لشرب الشاي معنا .. انتا  
نشكر له هذا الجميل !

وقال ماستر ميكاويبر يحدىنى :

- والآن .. ماذا تعمل يا كوبيرفيلد ؟  
فقلت له :

- انى ادرس بمدرسة الدكتور سترونج .

ولانى أصبحت راغبا الان فى انهاء الزيارة فورا  
ومصاحبة ماستر ميكاويبر الى الخارج ، فقد قلت له وانا  
اهم بالقيام :

- وكيف حال مسرز ميكاويبر ؟ .. هل يمكننى  
الذهاب معك لزيارتها ؟ ..

فقال وهو يتاهب للانصراف معى :

- سيكون - هذا من دواعى سرورى ..

وذهبت معه الى حانة صغيرة كان يعيش مع زوجته  
في احدى حجراتها . وسألتهمما مستفسرا :

- كوبيرفيلد !! .. هذا مستحيل !!

كان هذا الرجل هو ماستر ميكاويبر بعينه ..!  
والحقيقة انى كنت لا اريد ان يعرف يورييه هيب  
ولا امه انى اعرف رجلا مثل ماستر ميكاويبر .. ولكن  
هذا الأمر انتهى تماما .. بعد ان استقر ماستر ميكاويبر  
في صياغه :

- ياعزيزى كوبيرفيلد .. انها حقا مصادفة  
مدهشة !

ثم التفت الى يورييه وامه وقال لهاما :

- انها مفاجأة عظيمة .. لقد اكتشفت ان صديقى  
كوبيرفيلد يتناول معكما الشاي .. وسيكون من دواعى  
الشرف بالنسبة لى ان يعرفكمَا بى ويعرفنى بكم ..

فقمت بذلك على مضمض ..

وقالت مسرز هيب :

- انتا ناس متواضعون .. وقد شرفنا ماستر

- ولكن .. لماذا جئنا الى هذه المنطقة ؟

#### فأجاب مسر ميكابر :

- بعض أقاربى يقيمون هنا .. و كنت أتوقع أنهم سياسعدوننا بايجاد عمل لمستر ميكابر .. ولكننى شعرت بأنهم غير مسؤولين لرؤيتنا .. وكان الشيء الوحيد أاماًنا هو أن نفترض منهم بعض التقدُّم لنتمكن من العودة الى لندن .. ولكننا توفرنا هنا لعلنا نجد عملاً في صناعة الفحم ..

و قبل أن تنتهي الزيارة طلباً مني أن أقبل الدعوة لتناول العشاء معهما في اليوم التالي .. ولم استطع رفض الدعوة ..

وفي عصر اليوم التالي ، استدعيت من حجرة الدراسة ، فخرجت ورأيت مسْتَر ميكابر ينتظرني ويخبرني بأن العشاء جاهز ..

وفي المساء رأيت مسْتَر ميكابر ويليرياه هيب يسيران معاً ذراعاً في ذراع .. ولم يسرني هذا المنظر ولم أرتاح له ..

وبعد ظهر اليوم التالي ، ذهبت لزيارة مسْتَر مسْر ميكابر في الحانة .. وتناولنا العشاء معاً .. واحد يحدثني عن يورياه قائلاً :

- ان صديقك يورياه هيب .. له عقل كبير واسع الارراك ..

وكان العشاء طيباً .. وكان مسْتَر ميكابر في غاية المرح .. وغنى أغانيات كثيرة .. وعشنا جميعاً لحظات رائعة من الصداقة واللود .. ولا اظن أني رأيت أحداً في حياتي أسعد وأهلاً من مسْتَر ميكابر في تلك الأمسية ..

ومع ذلك .. ففي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ، تلقيت هذه الرسالة الفاجلة :

« لقد انتهى كل شيء .. ولم يعد هناك أمل في الحصول من أقارب زوجتى على أية نقود .. لقد أصبحت عاجزاً عن سداد ما أنا مدين به .. وسيكون مصيرى السجن فوراً .. وهذا آخر ماسوف تسمعه عنى » ..

اندهشت وشعرت بالخوف والاضطراب بسبب هذه الرسالة المفاجئة . وانطلقت صوب الحانة لعلى استطيع ان اقدم اية مساعدة ..

ولكن بينما كنت منطلقا في الطريق .. رأيت عربة السفر الى لندن منطلقة هي الاخرى .. وفي مؤخرتها كان يجلس مسٹر میکاوبر وزوجته .. وكان ييدو في قمة السعادة ويقهقح ضاحكا على شيء قالته مسز میکاوبر فيما ييدو .. وكانا يأكلان بعض الحلويات من لفة ورقية كانت تضعها مسز میکاوبر على ركبتيها ..

---

## الجزء الرابع

---

## العالم ..

## ٢١ - وتركت المدرسة

انتهت دراستي بالمدرسة ، وأصبح من الضروري  
أن نتناقش أنا وعمتي في موضوع مستقبلي ونوع العمل  
الذى سأشفله . وقالت عمتي :

- ان هذا موضوع هام .. و علينا أن تكون  
حريصين ولا نرتكب خطأ .. وعليك أن تفكير في هذا  
الأمر كرجل ناضج ، وليس كتلميذ في مدرسة !

فقلت لها :

- سأفعل ذلك يا عمتي !

**قالت :**

- ولكنك كنت تقول لي دائمًا إن أمور حبك تسير على ما يرام ..

- أوه .. لقد كنت طفلاً وأحببت طفولة .. واني أعجب لماذا لم تقع حتى الآن في الحب !؟ ..  
أدارت أحجس عينيها خجلاً .. ولكنها بعد لحظة ،  
نظرت إلى باهتمام وقالت لي :

- هناك شيء أريد أن أسألك عنه .. ألم تلاحظ حدوث أي تغيير طرأ على أبي ..؟ ..  
وكنت بالفعل قد لاحظت حدوث عدة تغييرات ..  
فهمزت رأسى علامة على معرفة بعض الملاحظات ..  
وسألتها أحجس :

- هل تستطيع أن تخبرني بما لاحظت ؟ ..

**قالت بصراحة :**

- أعتقد أنه يضر نفسه بالافراط في تناول

- إذن .. اعتقادك أن السفر وتغيير الجو سيكونا مفيدين .. ان ذلك سيساعدك على التفكير واتخاذ القرار المناسب .. واقتراح عليك أن تقوم ببرحلة لزيارة عائلة بيوجوتي !

- هذه خير رحلة أقوم بها .. أني أحب ذلك كثيرا ..

وهكذا .. ذهبت أولاً إلى كانتربيري لأودع أحجس وأباباً ماستر ويكفيلد .. وقلت لها :

- سأشعر بالحاجة إليك دائمًا .. إن أى شخص يحتاج عونك ، تكونين له خير عون .. يا أحجس !

**قالت أحجس :**

- أني طيبة مع الجميع .. والجميع طيبون معى ..  
وقلت لها وانا اشعر بمعنفي الود :

- كلما واجهت مشكلة .. أو إذا وقعت في الحب .. فسوف أخبرك .. إذا سمحت لي بذلك ..

الشراب .. لقد أصبحت يداه ترتعشان .. كما أنه أصبح لا يستطيع الحديث بوضوح .. وكذلك نظرات عينيه أصبحت وحشية وغير طبيعية .. وقد لاحظت انه عندما يكون في أسوأ حالاته فإن أحداً يستدعيه دائماً لأداء بعض الأعمال ..

- تقصد يورياء هيب ؟

- نعم .. وكان مستر ويكتيلد يشعر عندئذ بأنه قد أصبح عاجزاً عن أداء عمله .. وفي كل يوم كانت حالته تزداد سوءاً .. وفي أحدي المرات ، رأيته وقد أنسد رأسه على المنضدة وكان يبكي مثل الأطفال !  
وعندما نويت مواضلة الرحلة الى لندن ، ساعدناه يورياء هيب في ربط صندوق سفرى ..

.. وأخيراً .. وصلت الى لندن ..

وذهبت الى المسرح ذلك المساء .. وعدت الى الفندق الذي استأجرت غرفة فيه .. وبينما كنت في طريقى الى تلك الغرفة ، دخل الى صالة الفندق رجل

أعرفه جيداً .. برغم أنه لم يعرفي لأول وهلة .. وعلى الفور فاض قلبي وامتلاً عقلي بالذكريات الحلوة التي كانت تربطني في الماضي بهذا الرجل .. فانطلقت اليه وسألته متدهشاً :

- سيرفورد ! .. الا تريد أن تتحدث معى !؟ ..

وفي الحال تنبه سيرفورد وقال :

- من ؟ .. كورفيلد الصفير ..!

- ياعزيزى سيرفورد .. كم أنا سعيد برؤيتك !

- وكم أنا أيضاً سعيد برؤيتك .. ان أمى تعيش في مكان قريب .. خارج لندن ..

وتواعدنا على اللقاء للافطار صباح اليوم التالي ..  
وقال سيرفورد عندما التقينا :

- ما رأيك في البقاء معى في ماي حيث لمدة يوم أو يومين ؟ .. انى أحب ان أعرفك الى أمى .. فهى سيدة طيبة وشديدة الفخر بي .. وتتحدث عنى دائماً ..

- وهذه العلامة الغريبة التي تبدو في وجهها !! ..  
- الحقيقة .. أني كنت السبب في تلك العلامة  
- هل كان ذلك نتيجة لحادث ؟  
- كنت عندن طفل صغير .. وأغضبتني فقذفتها  
بمطرقة ..  
- أني أسف .. لأنني تسببت في هذا الحديث  
المؤلم ..

**فقال ستيرفورث :**

- لقد حملت هذه العلامة على وجهها منذ ذلك  
الزمن .. وستظل تحملها حتى تذهب إلى قبرها !! ..  
- أني لاأشك في أنها تحبك كاخ لها ..

اما مسز ستيرفورث فقد كانت تحب ابنها حبا  
جما .. وتبدو وكأنها لا تتذكر في اي شيء آخر او  
لاتتحدث عن اي شيء آخر سواه .. فقد ارتبى جميع  
صوره .. منذ ان كان طفل صغيرا .. وحين كان

فاغفر لها ذلك .. وأنا على يقين بأنها ستر كلثرا  
برؤيتها ..

وعلى هذا فقد ذهينا إلى ما هي حيث بعد عصر  
ذلك اليوم .. ووصلنا إلى بيت قديم مبني بالطوب ..  
ورأيت سيدة عجوزا كانت تقف عند بابه .. وعرفت  
انها أم ستيرفورث .. وقابلتها بترحاب ، ودخلتني إلى  
غرفة المعيشة .. حيث وجدت سيدة أخرى سوداء الشعر  
والعينين ، وعلى خدها علامة تبدو كما لو كانت اثرا  
لجرح قديم .. وكان اسم هذه السيدة مس دارتل ..  
ولكن ستيرفورث وأمه كانوا يدعوانها روزا ..

وعندما أصبحنا وحدنا .. توقعت ان يحدثنى  
ستيرفورث عن مس دارتل .. ولكنه لم يقل شيئا ..  
**فسألته :**

- أنها تبدو ذكية .. أليس كذلك ؟

**فقال على الفور :**

- ذكية ؟ .. أنها تزداد صرامة عاما وراء عام ..  
انها متطرفة في كل شيء ..

و كنت اقول له :

ـ شكرًا لك .. أنا بخير .. وكيف حال مستر ستيرفورث ؟

و كان يقول :

ـ بخير .. هل يمكنني أن أقوم بأية خدمة لك ياسيدى ؟

ـ لا .. أشكرك ..

ـ شكرًا لك ياسيدى ..

ثم ينصرف بهدوء شديد ويخرج من الحجرة ..

صبيا يافعا أيام عرفته لأول مرة في مدرسة مسستر كريكل ..

وكانت تحتفظ بجميع الخطابات التي أرسلها لها منذ سنوات بعيدة وحتى وقت قريب .. وكانت تريد أن تقرأ لي كل هذه الخطابات لولا أن منها ستيرفورث من الشروع في ذلك ..

وعندما صعدت إلى غرفة نومي .. لاحظت وجود صورة لمس دارتل موضوعة فوق رف المدفأة .. وكانت تبدو كما لو أنها تمعن النظر إلى بعينيها السوداويين .. وتلقى إلى باستله شتي ..

وكان هناك خادم هادئ جدا اسمه ليتيمير يبدو كما لو كان قوقة أغلقت الصدفة على نفسها .. وكان يحضر إلى حجرتي كل صباح ليسألني سؤالا واحدا لا يتغير :

ـ أن مستر ستيرفورث يحب أن يعرف هل قضيت وقتا مريحا .. ؟

- نعم .. هو بالبيت .. ولكنه يرقد على سريره  
مريضا !

ولكنها تنبهت بعد ذلك الى وجودى . فخطت خطوة  
الى الوراء وصاحت فى لهفة :  
!!

- اوه .. يابنى العزيز !!  
وفى لمح البصر كان كل مثنا بين احضان الآخر ..  
ثم صعدت الى حجرة النوم بالطابق العلوى ..  
وفرح باركيس بحضورى لزيارة ..

كان راقدا على ظهره فوق السرير ولا يتحرك الا  
بصعوبة شديدة . ولكنك كان قادرًا على الكلام بشكل  
متواصل . وبينما كان يحدثنى ، جمع كل قواه ، وأمسك  
بعصا كانت مسنودة الى جانب السرير ، ثم مدها الى  
تحت السرير ليتحسس بها صندوقا كان موضوعا في  
ذلك المكان . وبعد ان تأكد من وجود الصندوق في  
مكانه ، فاقهى وجهه بالبشر والفرح . وقال لى :

- ملابس قديمة .. ليس فى هذا الصندوق سو

## ٢٢ - ستيرفورث يزور عائلة بيوجوتى

اصر ستيرفورث على ان يصاحبنى فى رحلتى الى  
يارماوث لزيارة عائلة بيوجوتى . وعندما وصلنا الى  
تلك البلدة ، وعدته ان تذهب سويا لزيارة العائلة فى  
المساء ، واستأنفت منه لفترة ، ذهبت فيها وحدي  
لزيارة بيت مستر باركيس . وهناك شاهدت بيوجوتى  
وكان منهنكة فى اعداد وطهي طعام العشاء . سالتها :

- هل مستر باركيس موجود بالبيت ..  
فأجبت دون ان يبدو عليها انها عرفتني :

.

بعض الملابس القديمة .. كنت أتمنى أن يكون مملوءا بالنقود .. !

- وأتنا أيضاً أتمنى لك نفس الأمانية ..

- شكرنا .. ولكن ليس فيه الآن إلا بعض الملابس القديمة ..

وبعد أن غادرنا الغرفة ، شرحت لي بييجوتي كيف يحافظ باركيس على أمواله .. وأن أشد اللحظات المما بالنسبة له ، تكون حين يحتاج البيت إلى بعض النقود فيضطر عنده إلى فتح الصندوق لاخراج النقود المطلوبة ، وقلبه يكاد أن ينفطر حزناً ولما .. !

وبعد العصر ، قابلت ستيروفورث وصحبته معه لزيارة بيت مستر بييجوتي .. واستقبلنا الجميع بفرح وسرور بالغ .. وكان أكثرهم فرحاً مستر بييجوتي الذي صاح بي قائلًا :

- هذا شيء مدهش .. مصادفة سعيدة إن تحضر لزيارتـنا هذه الليلة بالذات .. فهذه الليلة دون كل

الليلـى ، هي أسعد لـيلـينا كلـها .. فقد طلبـ هـام منـ أمـيليـ الصـفـيرـةـ أنـ تـتزـوجـهـ !!

دقـ قـلـبـيـ بشـدةـ حـينـ كـنـتـ أـسـمـعـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ ..  
وـحـينـ رـأـيـتـ السـرـورـ بـاـدـيـاـ عـلـىـ وـجـهـ هـامـ بـعـدـ أـنـ فـازـ  
بـتـلـكـ المـخـلـوـقـةـ الصـفـيرـةـ الجـمـيـلـةـ .. وـأـخـسـسـ بـغـصـةـ  
مـؤـلـمـةـ فـيـ قـلـبـيـ بـعـدـ أـنـ تـبـيـنـ لـيـ أـنـ مـازـلـتـ أـحـبـ أمـيليـ  
الـصـفـيرـةـ .. وـلـكـ أـمـلـ فـيـ هـذـاـ الـحـبـ قـدـ تـبـدـدـ فـيـ  
لـحـظـةـ خـاطـفـةـ ..

لـزمـتـ الصـمتـ تـعـاماـ ، وـلمـ أـعـرـفـ مـاـذاـ اـقـولـ فـيـ تـلـكـ  
الـمـاـسـيـهـ الـحـافـلـةـ بـالـشـاعـرـ .. وـلـكـ سـتـيـرـفـورـثـ قـالـ  
الـكـلـمـاتـ الصـحـيـحةـ التـيـ يـجـبـ أـنـ تـقـالـ فـيـ مـثـلـ تـلـكـ  
الـمـاـسـيـهـاتـ :

- مستـرـ بـيـيجـوـتـىـ .. انـكـ رـجـلـ طـيـبـ وـلـكـ كلـ الـحـقـ  
فـيـ آنـ تـكـونـ سـعـيـداـ كـلـ هـذـهـ السـعـادـةـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ ..  
آماـ اـنـتـ يـاهـامـ .. فـانـيـ أـتـمـنـىـ لـكـ السـعـادـةـ وـالـفـرـحـ ..  
وـجـلـسـنـاـ جـمـيـعـاـ حـولـ نـارـ الـمـدـفـاةـ .. وـأـخـذـ

الناس .. و من حسن حظنا أتنا وصلنا اليهم في ليلة  
تتالت فيها ساعاتهم .. ولكنني لاحظت ان هام لا يثير  
اهتمام الفتاة .. واعتقد أنها غير فرحة به .. أليس  
ذلك !؟

أدمشتني سماع تلك الكلمات .. ولكنني لاحظت  
أن ستيرفورث يضحك بعد أن قال كلماته .. فقلت له  
وأنا أحاول أن أجواز تلك الدهشة :

- ستيرفورث .. أنت أعرفك جيدا .. أنت تحاول  
أن تخفي طبتك وراء الضحك .. و أنا سعيد لأنك تعرفت  
على هؤلاء الناس البسطاء وهم يعيشون أسعد  
أوقاتهم .. !

ستيرفورث يحدث أميلي الصغيرة عن المراكب  
والصياديون والسمك .. ثمأخذ يحدث مستر بيجوتى  
عن الفترة التي قضيناها سوية فى مدرسة سالم  
هاوس .

وطوال هذه الأحاديث ، كانت أميلي الصغيرة تنظر  
إلى ستيرفورث باهتمام ، وتنصت بامتعان إلى كل كلمة  
قالها .. لقد ثبتت عينيها عليه و كانها لم تكن تزى  
أحدا سواه !

وامتدت بنا السهرة إلى قرب منتصف الليل ..  
و قبل أن ننصرف . تهيا الجميع لتهديعنا عند باب  
البيت .. ثم ظلوا يراقبوننا حتى تلاشى منظرنا فى  
طريق .

ووضع ستيرفورث ذراعه فى ذراعى وسرنا ..  
و بعد لحظة قال ستيرفورث :

- كم هي جميلة تلك البنت الصغيرة .. إنهم ناس  
مدحشون .. يعيشون فى مكان غريب وبيت  
غريب .. أنت سعيد بتعرفي و اخلاقطى بمثل هؤلاء

وفي احدى المرات عدت متأخراً أكثر من المعتاد إلى  
بيت مستر بيجوتي ، فلاحظت أن ستيرفورث كان لم ينزل  
جالساً أمام المدفأة ومستغرقاً في تفكير عميق . فقد مررت  
عليه ووضعت يدي على كتفه ، فهب واقفاً وقال وقد  
أخذته المفاجأة :

ـ اوه .. لقد جئت كما يأتي الشيخ !  
ـ فقلت له :

ـ أرى أني أخرجتك من أحلام كنت مستغرقاً  
فيها .

ـ فقال بنبرة لاتخلو من حزن :

ـ كنت أتخيل في ل Hibib النار صوراً تكاد أن تكون  
حية .. كنت أفكر في أن كل الناس الذين نراهم الآن  
سعداً .. سياتي يوم يتفرقون فيه أو يموتون .. كنت  
أتمنى وأنا جالس وحدي هكذا لو كان لي أب حكيم  
ينصحني أو يرشدني خلال العشرين عاماً الماضية ..  
ولكن على أن أتصفح نفسى بنفسي .. وكم أتمنى أن  
أنجع في ذلك !

## ٢٣ - في يارماوث

قضينا أنا وستيرفورث نحو ثلاثة أسابيع في تلك  
المنطقة . وفي بعض الأحيان كنا نخرج إلى البحر مع  
مستر بيجوتي في مركبه . ولكن لم أكن أرى ستيرفورث  
كثيراً . فدكت أذهب في أغلب الأوقات لزيارة الأماكن  
القديمة والأصدقاء القدامى الذين كنت أعرفهم جيداً  
وكانت تربطني بهم ذكريات ماضية .

ذهبت لزيارة بيتنا القديم .. لقد جفت الحديقة  
ولم يعد يعنى بها أحد . وتساقطت الكثير من أشجارها  
أو اجتثت !

لا اكون فيها هنا .. ولابد ان اعيد طلاء القارب ..  
وساكلف ليتيم ان يقوم بهذا العمل .. هل تعلم بأنه  
 جاء الى هنا .. ؟

- لا ..

- لقد وصل هذا الصباح .. ان القارب اسمه  
الآن « طائر العاصفة » .. وسوف اطلق عليه اسمًا  
جديدا ..

- ماذا تنوى أن تسميه .. ؟

- سأسميها « اميلي الصغيرة » .. !!

- ولكن .. أين ذهبوا جميعا .. أني لا ارى أحدا  
 منهم في البيت .. !

فقال ستيرفورث فجأة :

- هام .. انظر هناك .. لقد عادت اميلي  
الصغريرة ، الأصلية ، .. ومعها هام ..  
وعندما رأت اميلي الصغيرة ستيرفورث عن بعد ،

لقد اندھشت لحزنه .. وسألته السبب في تلك  
الحالة ، ولكنه أخذ يضحك وهو يأخذ بذراعي ويهم  
 باصطحابي الى خارج البيت .. وقال :

- أبدا .. لا شيء .. لا شيء بالمرة !

ومرت لحظة ثم قال مواصلًا الحديث :

- هل تعلم أنى اشتريت قاربا سأقوم بتشغيله في  
هذه المنطقة .. !

فصححت مدهشا :

- يالك من شخص غريب يا ستيرفورث .. لماذا  
 فعلت ذلك .. وربما لاترغب في زيارة هذه المنطقة مرة  
 أخرى ؟

فقال على الفور :

- لا .. صدقنى .. لقد أحببت المكان ..  
 واشتريت القارب لأظل بهذه المنطقة .. وسيقوم  
 مستر بيجوتى بالعناية به وتشغيله في الفترات التي

وفتح باب الحانة . ودخلت امرأة ضئيلة الجسم ، في حوالي الأربعين أو الخامسة والأربعين من عمرها .. فاستدعاها ستيرفورث لكي تقص له شعره . فهى حلاقة تمنهن حرف العناية بشعر الرجال والسيدات وكانت تحمل حقيبة أخرجت منها مجموعة من الزجاجات وعدة أشياء أخرى ، وشرعت على الفور فى عملها .. ولكنها لم تتوقف عن الحديث لحظة واحدة .. وأخذت تحكى قصصا وأخبارا عن جميع السيدات الجميلات من زبائنهما . ولكنها قالت :

ـ آه .. يبدو أنى لن أجد عملا هنا .. فلم أر أية سيدة جميلة منذ أن وصلت إلى هنا ..

فقال ستيرفورث :

ـ اعتقد أن بإمكاننا أن نريها أحدى الجميلات اللاتى يعيشن فى هذه المنطقة ..

فقلت مصدقا على قوله :

ـ نعم .. إنها شابة جميلة .. اسمها أمily .. يامس ماوشير ..

انزلت نراعها من نراع هام .. وسارت وحدها وظهر عليها شيء من الاضطراب ..

وفجأة ظهرت سيدة شابة .. كانت تبدو وكأنها تتبع خطوات أميلي وهام .. وكانت ترتدى ملابس رثة فقيرة ، وظاهر فى وجهها ملامح حزينة .. فقال ستيرفورث :

ـ أنى مندهش .. من هى هذه المرأة ذات الظل الأسود .. ولماذا تتبع خطوات الفتاة .. ماذا يعني هذا .. ومن أين جاءت هذه المرأة ؟ ..

وكنا قد وصلنا إلى الحانة ، فدخلنا وتناولنا طعام عشاءنا .. وبعد أن انتهينا من ذلك . وصل ليتيمر وقال :

ـ لقد وصلت من ماوشير إلى هنا ..  
فتساءل ستيرفورث :

ـ وماذا تفعل هنا ..

فأجلب ليتيمر :

ـ يبدو أنها تعمل فى هذه المنطقة أيضا ..

فقالت الحلاقة :

- آهاء !

ولم استرح الى منظر هذه الحلاقة ولا الى طريقتها  
في الكلام . ولذلك فقد قلت بنفحة اكثراً جدية :

- انها حقاً جميلة ، ولكنها طيبة أيضاً .. ولقد  
وعدت بالزواج شخصاً من مستواها ويناسبها تماماً ..  
اسمه هام

فقالت مس ماوشير :

- اوه .. حقاً .. هذا شيء رائع !

وجمعت الحلاقة زجاجاتها وأدواتها ووضفتها في  
الحقيقة .. واعطاها ستيرفورث أجرها .. ثم انصرفت  
وهي تواصل الكلام حتى آخر لحظة .

وذهبـت بعد ذلك الى بيت مـستـر بـارـكـيس ..  
واندھـشت عـنـدـمـا رـأـيـتـ هـامـ يـمـشـيـ جـيـنـةـ وـذـهـابـاـ خـارـجـ  
الـبـيـتـ . وـقـالـ عـنـدـمـا رـأـيـ :

- ان اميـلـىـ بـداـخـلـ الـبـيـتـ .. انـهـاـ تـتـحـدـثـ معـ  
انـسـانـةـ كـانـتـ تـعـرـفـهـاـ فـيـ الـماـضـىـ .. وـلـاـ يـجـبـ انـ تـعـرـفـهـاـ

الآن .. امرأة مسكنة يامستـر دـافـيدـ .. والنـاسـ فـيـ هـذـهـ  
المـدـنـةـ الصـغـيرـةـ لـاـ يـعـرـفـونـ عـنـهـاـ شـيـئـاً ..

- لقد رأـيـتـ هـذـهـ المـرـأـةـ .. وـكـانـتـ تـتـبعـ خطـوـاتـكـاـ ..  
- اوـهـ .. نـعـمـ .. لـقـدـ وـقـتـ تـحـتـ نـافـذـةـ اـمـيـلـىـ ..  
وـنـادـتـ عـلـيـهـاـ : اـمـيـلـىـ .. اـمـيـلـىـ .. اـشـفـقـيـ عـلـىـ ..  
لـقـدـ كـانـاـ زـمـيلـتـيـنـ نـعـيـشـ سـوـيـاـ نـفـسـ الـحـيـاةـ ! .. فـطـلـتـ  
اـمـيـلـىـ مـنـ النـافـذـةـ وـقـالتـ : مـنـ .. اـهـذـهـ اـنـتـ يـاـمـارـتـاـ ..  
لـقـدـ كـانـتـ اـمـيـلـىـ تـعـمـلـ مـعـ مـارـتـاـ هـذـهـ فـيـ مـتـجـرـ مـسـتـرـ  
اوـمـارـ .. وـرـتـبـتـ اـمـيـلـىـ اـنـ تـلـقـيـ مـعـ مـارـتـاـ هـنـاـ .. فـيـ  
هـذـاـ الـبـيـتـ ..

وـانـفـتـحـ بـاـبـ الـبـيـتـ وـظـهـرـتـ بـيـجوـتـىـ .. وـاستـدـعـتـ  
هـامـ لـدـخـولـ .. وـكـانـتـ تـبـكـىـ .. وـكـذـلـكـ كـانـتـ تـفـعـلـ  
اـمـيـلـىـ .. وـقـالتـ لـهـامـ :

- انـهـاـ تـرـيـدـ الـذـهـابـ اـلـىـ لـندـنـ ..  
فـأـعـطـاهـاـ هـامـ بـعـضـ النـقـودـ .. وـهـبـتـ مـارـتـاـ وـاقـفـةـ ..  
وـكـانـتـ تـحـاـوـلـ اـنـ تـتـكـلـمـ بـشـيـءـ .. وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـفـعـلـ وـلـمـ  
تـسـتـطـعـ .. وـانـصـرـفـتـ وـهـيـ تـبـكـىـ ..

## ٢٤ - حفلة مرحة

رتبت عمتي أمر تدريبي على أعمال المحاماة لدى مكتب « سنبلو وجوركينز » بلندن .. ودفعت للمكتب أجر تعليمي هذا العمل ..

وهكذا أصبحت أعيش في شقة مستقلة تقع بمبني مجاور للمكتب .. وكم هو جميل أن يشعر الإنسان أنه يعيش في مكان مستقل لا يشاركه فيه أحد .. ولكن وبالرغم من ذلك فقد كنتأشعر كثيرا بقسوة الوحدة ..

وذات صباح فوجئت بحضور ستيرفورث . فصحت فيه مرحبا :

- ياعزيزى ستيرفورث .. كنت أظن أنى لن أراك  
أبدا .. هل تبقى لتناول الافطار معى .. ؟

- لا لا .. لا استطيع .. فأنا على موعد مع  
بعض الأصدقاء ..

- ستحضر أدنى لتناول معى طعام العشاء !

- لا استطيع .. فلا بد أن أقضى الليلة مع اثنين  
من أصدقائي ..

- ولماذا لا تدعو صديقيك لتناول العشاء جمِيعا  
هنا ؟ ..

فوافق ..

وهكذا أعددنا حفلة عشاء مرحة ، تناولنا فيها  
الكثير من النبيذ .. واقرطت في الشراب حتى أصبحت  
أكثر مرحًا وابتهاجا .. والقيت خطبة .. كما المقى  
ستيرفورث خطبة أخرى .. ثم شربنا نخب الجميع  
فردا فردا ..

فالت بحزم :

- اسمع .. انى اعرف انك ستطيعنى .. عليه  
ان تنتصرف الان .. اطلب من اصدقائك ان يصعمبوك الى  
بيتك .

وفي صباح اليوم التالي ، وبينما كنت اتأهّب  
للخروج من البيت ، تلقيت رسالة من اجنّس :  
« عزيزى قرتوود ..

انى اقيم مع مستر ومسز ووتربروك ، فى ايلنج  
بليس ، هولبورن .. هل تأتى لزيارة اليوم ؟  
وكتبت خمسا او ست اجابات على تلك الرسالة ..  
محاولا الاعتذار وابداء الاسف على ماحدث مني ليلة  
الامس بالمسرح .. واخيرا كتبت :  
« عزيزتى اجنّس ..

سأحضر في الساعة الرابعة بعد الظهر » .  
وفي الساعة الرابعة تماما ، دخلت الى حجرة

١٩٧

ثم توجهنا جمِيعا الى المسرح .. وهنـاك رأيت  
اجنس .. وعندما التقى عيوننا ، لاحظت ملامح الحزن  
والدهشة تتبدى واضحة على وجهها . ومع ذلك فقد  
صحت مهلا :

- اجنّس .. اجنّس .. هذا شيء عظيم ان ارى  
اجنس !!

فقالت على الفور محاولة اسكناتي :

- الصمت .. لا تصنع كل هذه الخسارة !  
صحيحة مندهشا :

- اجنّس !!

فقالت بصوت منخفض :

- انك في حالة غير طيبة .. اسمع .. ان عليك  
ان تنتصرف الان ..

فقلت بصوت غبي :

- انصرف الان .. لماذا ؟

١٩٦

- ليس لهذا السبب وحده .. بل هناك اسباب أخرى غير ذلك ..

ثم صممت لحظة وقالت :

- يجب الا تنسى .. يجب الا تنسى انت وعدتني بذلك سوف تخبرني اذا وقعت في مشكلة او وقعت في الحب ..

ثم سالتني ان كنت قد رأيت يورياه وهي تقول في نفس الوقت :

- انى متأكدة من انه سيصبح شريكًا لأبى فى المكتب !

فصحت مذهشاً :

ـ ماذا ؟ .. هل سيصبح هذا الشخص شريكًا لأبيك في مكتبه ؟ !

قالت أجنس :

- نعم .. وانا اخشى ان يكون ذلك على غير رغبة ابى .. لقد أصبح ابى يخاف منه .. انه قد سيطر على

الاستقبال حيث كانت أجنس جالسة في مهده وفي حالة طيبة . فبادرتها باعتذاري واسفى :

- كنت اتمنى الا ترني في الحالة التي كنت بها ليلة الامس .. انت دون كل الناس ..

فوضعت يدها على ذراعي وقالت :

- اجلس .. ولاتكن تعيساً هكذا .. اذا كنت لا تثق بي ، فمن ذا الذي ستثق به اذن ؟!

- اووه يا أجنس .. انت خير اصدقائي !

- اذا كنت خير اصدقائك حقاً ياترود .. فهناك شيء اريد ان تتبه اليه جيداً .. اريد ان احذرك من الدوسوا اعدائه .. اقصد ستيرفورث .. فان له تائيراً عليك في غاية السوء ..

فقلت لها مذهشاً :

- يا عزيزتي أجنس .. انك تظلمينه بمثل هذا الظن .. فليس من العدل ان تحكمي عليه بهذا الحكم بسبب ماحدث ليلة الامس ..

وعندما كان يقول هذه الجملة الأخيرة ، أغلق قبضة يده بقوه ، وكأنه كان يعصر شيئاً بين أصابعه .. ولذلك فقد كرهته ..

ثم عاود يورياده حديثه قائلاً :

- ان مس أجنس كانت جميلة جداً هذه الليلة !
- فقلت مصدقاً على كلامه :
- انها تبدو مكذا دائماً .. انبيل وأجمل من اية انسة او سيدة تكون بجانبها اينما كانت !
- فقال يورياده :
- شكرأ لك !
- فقلت له على الفور :
- ليس هناك سبب لتشكرنى على ذلك ..
- فال :
- هناك سر سأخبرك به .. فالرغم من انسى شخص متواضع ويسقط .. فانى اعشق التراب الذى تسير عليه عزيزتى أجنس !

أبى تماماً .. لقد بدأ أبى يفقد اهتمامه بالعمل رويداً رويداً .. وأصبح لا يهتم الا بي أنا وحدي .. حتى أصبحت أحس بأننى السبب فيما لحقه من فشل فى عمله ..

وبعد ذلك بعده أيام دعيت لحضور حفلة فى ووتربروكس .. وقابلت يورياده هناك .. وظل ملازمـاً لي منذ بداية الحفلة حتى نهايتها وحتى انصرفت .. وكانت أجنس قد طلبت مني أن أكون لطيفاً معه .. ولذلك فقد صححته الى شققى ، حيث قدمت اليه بعض المقهوة ..

وقال يورياده بطريقته المعروفة :

- اوه يا مستر كوبريفيلد .. اراك تقوم بخدمتى وتقديم المقهوة الى بنفسك .. ان هذا اكثـر مما اتوقعـه .. ولكن على اية حال فقد حدثت اشياء كثيرة لم اكن اتوقعها .. انى أتعذر ان اكون قادرـاً على معاونـة مستر ويكفـيلد .. لقد أصبح غير عاقل بالمرة .. ولو كان هناك شخص آخر غيرى يعمل مع مستر ويكفـيلد خلاـل السنوات القليلـة الماضـية ، لكان قد سيطر عليه تماماً ..

## ٢٥ - دورا ..

في كل يوم ، كنت أذهب الى مكتب مستر سبنلو للتدريب على العمل . وبعد مدرس بعض الوقت ، دعاني مستر سبنلو للذهاب معه الى بيته الريفي . وعندما وصلنا سال مستر سبنلو احد الخدم :

- أين مس دورا ؟ ..

**فقلت في نفسي :**

- دورا ؟ .. ياله من اسم جميل !

وعندما دخلنا الى اقرب حجرة بالبيت ، قال لي مستر سبنلو :

وتعنیت لو انى قتلتہ بعد ان قال هذه الكلمات ..  
ولكنه استمر في حديثه :

- انها تحب اباها حبا جما .. ولاجل ذلك فاني  
أتوقع ان تستجيب لى وتعطف على .. !

وهكذا اكتشفت خطته .. فقد سيطر يورياد على  
مستر ويكييلد تماما حتى يجبره على ان يعطيه الجنس  
روحة له .. واستمر يورياد في الحديث :

- ولكن لداعي للعبلة في هذا الأمر .. ان  
عزيزتي الجنس ما زالت صغيرة ..

وفي تلك الليلة نام يورياد على مقعد في غرفة  
الجلوس بشققتي .. وحلمت بأن: الجنس تتوسل الى  
لکي انقذها من هذا المصير ..

وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي ، دخلت  
فورا الى غرفة الجلوس .. فإذا يورياد ما زال معددا  
فوق المقعد .. تتدلى ساقاه على الأرض .. وفمه  
مفتوح عن آخره ..

وكان بوسعى ان اقتله .. ! ! !

فقلت :

- وهذا الصباح هو أشرق الأوقات كلها ..  
بالنسبة لي !

ومن أحد مرات الحديقة .. جاء كلب صغير يجري نحو دورا .. فرفعته بيديها وضمتها الى صدرها ..  
فقلت في نفسي : كم هو محظوظ هذا الكلب !

ومضى النهار كله جميلاً مادئاً .. حيث خرجننا جميعاً للنزهة .. وفي فترة المساء جلسنا في حجرة المعيشة نقرأ في بعض الكتب ونشاهد بعض الصور ..  
و قبل أن أتوجه لحجرة النوم القيت تحية المساء على مسiter سبنلو وقلت له : تصبح على خير .. !!

ولم يعرف مسiter سبنلو ائنذا ، انى أصبحت انظر اليه باعتباره والدا لزوجتي مستقبلاً !!

- مسiter كوبريفيلد .. هذه هي ابنتي دورا ..  
وما أأن وقعت عيني عليها حتى أحبيبها بجنون من أول نظرة .. ! وأشار الى سيدة أخرى وقال :

- وهذه صديقه لابنتي ..

فقالت السيدة :

- انى أعرف مسiter كوبريفيلد من قبل .. !

كانت هذه السيدة هي مس مارلاستون !!  
وفى صباح اليوم التالى ، استيقظت مبكراً وخرجت الى الحديقة . وهناك قابلت دورا . فقلت :

- لقد خرجت الى الحديقة مبكرة يا مس سبنلو ..  
فأجابت بنعومة :

- نعم .. ففى صباح كل أحد .. لا اواظب على تمريناتي الموسيقية .. ان الصباح هو أشرق أوقات اليوم ..

- عفوك ياسيدى .. لقد أمرت بأن أحضر إلى  
هذا ..

- وهل سيدك هنا ؟ ..

- لا يا سيدى ..

- هل رأيته هنا ..

- عفوك ياسيدى !

- هل سيحضر مستر ستيرفورث من أكسفورد ؟

فتحاشي الاجابة على سؤالي وقال :

- أظن انه سيحضر الى هنا غدا ..

فسألته محاولا معرفة المزيد بوضوح :

- ليتيم .. هل بقيت طويلا في يارماوث ؟

- ليتيم .. هل بقيت طويلا في يارماوث ؟

- لا ياسيدى .. ليس طويلا جدا ..

## ٢٦ - ستيرفورث يعود

عدت الى شققى بلندن .. وجاء مستر ومسر  
ميكاوبر لتناول العشاء معى .. وكانت حفلة ممتعة  
بمبيحة .. وكتت قد قابلت « ترايلز » صديق طفولتى  
وزميلى فى مدرسة سالم هاوس .. فدعوتة للحضور  
إلى تلك الحفلة فلبى الدعوة وأزدادت بهجتنا .. وفجأة  
دق الباب .. ودخل ليتيم خادم ستيرفورث .. فسألته  
مندهشا :

- ما الأمر .. ماذا حصل ؟

فأجاب بهدوئه المعتاد :

رأيت ضيوفك وهم يتحدون بصوت مرتفع عن كرمك  
وفضلك وينتون عليك ..

وقدمت اليه بعض الطعام .. فجلس الى المائدة  
وهو يقول :

ـ هامو عشاء يليق بملك ..

ثم اضاف بعد لحظة :

ـ لقد جئت قادما من يارماوث ..

ـ ظننتك قادما من اكسفورد ..

فال وهو يواصل تناول الطعام :

ـ لا .. لقد استخدمت القارب الذى اشتريته ..  
على فكرة .. معى خطاب مرسى اليك .. ان مستر  
باركيس العجوز مريض جدا ..

وناولنى الخطاب ، فقراته على الفور .. وقلت :

ـ اعتقد ان من الضرورى ان اذهب لارام !

ـ وهل انتهيت من اعداد القارب الذى اشتراه  
مستر ستيرفورث ؟

ـ نعم يا سيدى ..

ـ وهل رأى مستر ستيرفورث القارب بعد اعداده ؟

ـ لا استطيع أن أقول يا سيدى .. تصبحوا جميعا  
على خير !

وانصرف .. وارتحنا جميعا لانصرافه .. ولم  
اعد اثق في هذا الرجل ..

وبعد ان انتهت الحفلة وانقض الجمع .. جلست  
وحيدا بجوار المدفأة وانا افكر في امر مستر ومسر  
ميكاوير .. وفجأة سمعت وقع خطوات صاعدة على  
السلم .. وظننت في البداية ان القائد هو ترايلز ..  
ولكنني تبيّنت بعد ذلك انه ستيرفورث ، الذي قال فور ان  
وابنى :

ـ اراك عدت الى عمل الحفلات من جديد .. لقد

## ٢٧ - باركيس يذهب مع الموج

وصلت الى يارماوث .. وتلتقتى بيجوتى بين ذراعيها ، شاكرة لى حضورى لزيارتها فى هذا الوقت الممیب .. وشكرتني على ذلك مرات ومرات .. وقالت ان مجرد حضورى قد سبب لها الكثير من الراحة والسكينة .. وأن مسـتر باركـيس يشعر نحوـى بكثير من الحب والتقدـير ، وأنه يتحدث عنـى دائمـا بكلـام طـيـب .. وقلـلت ايـضاً انه الآـن مستـفرق فـى النـوم ، ولكنـه عندـما يستـيقظ ويرـانـى سـيـسـعد كـثـيراً وـتـعودـ اليـه بـهـجـته ..

وعندـما تـهـيا ستـيرـفـورـث للـانـصـراف قـلت لهـ موـذـعاً  
- تصـبـحـ علىـ خـيرـ ياـعـزـيزـى ستـيرـفـورـث .. اـنسـ  
ذاـهـبـ لـرـؤـيـتـهـمـ غـداً ..

ووضـعـ كلـتـا يـديـهـ فـوقـ كـتـفـى وـقـالـ قبلـ انـ يـنـصـرفـ :

- تصـبـحـ علىـ خـيرـ .. ولـكـ اذاـ حـصـلـ اـىـ شـئـ  
يفـرقـنا .. فـارـجوـ انـ تـفـكـرـ فـىـ حـسـنـاتـ دـونـ سـيـئـاتـىـ !

فـقـلتـ لهـ :

- كـلـكـ حـسـنـاتـ بـالـنـسـبـةـ لـىـ ..

فـقـالـ :

- ليـبارـكـ اللهـ .. وـتـصـبـحـ علىـ خـيرـ .. !

وقالت بيجهوتى بصوت حزين :

ـ باركيس .. ياعزيزي .. ها هو مستر دافيد قد جاء ليراك .. باركيس .. هل تريد ان تتحدث اليه .. !

ولكن الصمت العميق كان يلفه .. وجاءه باخر انفاسه لكي يقول شيئا .. ونطق بالفowel بقليل من الكلمات المتقطعة غير الموصولة .. عن ذكرى قيادته للعربية عندما كان يأخذنى الى المدرسة ..  
وفجأة فتح عينيه .. والتفت نحوى .. واساء وجهه بابتسمة راضية وقال فى وهن وبصوت ضعيف : لايكاد يسمع :

ـ « باركيس مستعد » !! ..

وكما تزحف الموجة على رمال الشاطئ ، ثم تنسحب عائنة الى اعمق البحر .. ذهب باركيس مع الموج .. ولكن بلا عودة !!

ولكن بدا واضحا انه لا يوجد شيء في الدنيا يمكن ان يعيد البهجة الى مستر باركيس .. لقد كان في دور الاحتضار .. يرقد غائبا عن الوعي وقد أسد رأسه وكفيه على مقدم بجانب السرير ، بينما بقية جسمه ممددة في ضعف على السرير ، وعلى المقدم كانت نذرا عاه تخيطان بصندوقه العتيق الذى كان يقول دائما أن محتوياته مجرد « ملابس قديمة » ..

لقد أصبح الآن ضعيفا غير قادر على الحركة .. أصبح عاجزا عن الامساك بالعصا التي كان يتحسس بها صندوقه العتيق الموضوع تحت سريره ، لذلك فقد طلب منهم ان يضعوا الصندوق على ذلك المقدم الملائق للسرير حتى يصبح أقرب ما يكون اليه ..

وها هوذا راقد على السرير يختصر في هدوء .. ويحاول أن يحتضن صندوقه في ياس وبلا عافية .. والحياة تتسلل في بطء خارجة من جسده الوامن الضعيف .. وكانت آخر كلماته التي سمعناها بوضوح ، مجرد ملابس قديمة .. !!

- والآن يا عزيزتي .. كيف حالك ؟

فقال مستقر بيوجوتي كما لو كان يحرض على  
الاجابة بدلاً من أخيه :

- لقد تقبلت الامر ببساطة .. لقد أدى واجبها  
نحو باركيس .. كما أن باركيس قد أدى واجبه نحوهما ..  
والحال على مايرام .. !!

ثم قام .. وأحضر شمعة اشعلها ووضعاها  
خلف زجاج النافذة .. وقال بصوت ملؤه الصدق :

- انى أشعل هذه الشمعة كل مساء لترشد  
صغيرتنا أميلي حين تعود من عملها الى البيت ..  
وسأظل أشعل شمعة كل يوم في مثل هذا الوقت حتى  
بعد أن تتزوج أميلي من دام ويصبح لها بيت مستقل ..  
سأشعل الشمعة كل مساء وسأجلس هنا بجوار المدفأة  
وانتظر بأنى انتظر قدوتها .. تماماً مثلما أفعل الآن ..  
نكلما أرى هذه الشمعة مضاءة خلف الزجاج .. أقول  
لنفسى ان أميلي ترى نورها وهى عائدة الى البيت ..

## ٢٨ - هروب أميلي

كان المطر ينهر بشدة حين كنت متوجهها نحو بيت  
عائلة بيوجوتي .. وكان القمر مختفيا وراء السحب ..  
ورأيت ضوءا يتسلل من احدى نوافذ البيت .. وطرقـت  
الباب ..

كان مسـتر بيوجوـتـي جـالـسا بـجـوارـ المـدـفـأـةـ يـدـخـنـ  
غـلـيونـه .. وـكـانـتـ بـيـوجـوـتـيـ جـالـسـةـ بـجـوارـهـ تـفـيـطـ بـعـضـ  
الـمـلـابـسـ .. اـمـاـ مـسـرـ جـامـيدـجـ فـقـدـ كـانـتـ جـالـسـةـ فـيـ  
صـمـتـ فـيـ رـكـنـ مـنـ الغـرـفـةـ ..

قلـتـ مـوجـهـاـ الحـدـيـثـ إـلـىـ بـيـوجـوـتـيـ :

ولكى اثبت لك فولى      أنتظر الآن .. ها هي اميلى  
قد وصلت ..!

ولكن الذى وصل ، كان هام وحده ..

فقاله مستر بيجوتوى مستفسرا :

- هام .. أين اميلى ؟ !

فعمل هام حركة برأسه .. كما لو كان يريد أن يقول انها بالخارج .. ثم تقدم هام الى وقال :

- مستر دافيد .. هل تسمع بالخروج معى دقيقة واحدة لترى ماذا احضرنا لك أنا واميلى .. !

وعندما خرجت معه من باب البيت .. لاحظت أن وجهه شاحب شديد البياض .. وأسرع بغلق الباب وانفجر فى البكاء فسألته ملتفاعا :

- هام .. ماذا حدث ؟ !

وارتفع بكاؤه أكثر وأكثر وهو يقول :

- مستر دافيد .. مستر دافيد !

- هام .. أيها الصديق المسكين .. أخبرنى ماذا حدث !

عندئذ تحامل على نفسه وقال فى ياس :

- حبى يامستير دافيد .. عروسى التى كانت أملا لقلبي .. اميلى الصغيرة .. لقد هربت !!  
- هربت .. !

- نعم يامستير دافيد .. هربت .. اخبرنى بالله عليك .. ماذا أقول لهم .. ماذا أقول للناس .. !

وهنا فتح الباب وخرج اليانا مستر بيجوتوى .. ولن أنسى ما حبيت ذلك الشحوب الذى باى على وجهه .. ولا منظره حين أخذ يصبح ويهدى جميع النساء ..  
وقفت حائرا لا ادرى ماذا أقول أو ماذا أفعل ..  
وكنت ممسكا بيدى الرسالة التى اعطانى اياما هام حين كنا خارج البيت .. وبعد فترة من الصمت الحزين قال هام :

- اقرأ الرسالة ياسىدى ..

— انى لا الومك يا مستر دافيد .. لأن الرجل اسمه  
ستيرفورث \*

وعلى الفور ارتدى مستر بيجوتوى معطفه ، وقال  
لهام :

— اعطنى القبة !

فقاله هام عما ينتوى .. والى أين ساذهب ، فقال  
باصرار :

— ساذهب للبحث عن اميلى .. ولكنني ساذهب  
ولا لأحطم ذلك القارب اللعين .. وبعد ذلك ساذهب  
للبحث عنها ..

فقاله هام :

— أين .. ؟

فأجاب بمزيد من الاصرار :

— في أي مكان .. وفي كل مكان في هذا  
العالم .. سوف أجدها .. سوف أعيدها إلى هنا ..

وبعد صمت يشبه الموت .. بدات أقرأ بيطه :  
« عندما تقرأ يامن تحبني كثيرا هذه الرسالة ..  
ساكون قد ابتعدت بعيدا .. ولن أعود الا اذا عاد هو  
بى بعد أن أصبح سيدة ..

قل لمعى انى لم أكن أحبه كثيرا .. ومع ذلك  
أرجوك ان تعمل على راحتة .. وجرب حظك في الحب  
مرة أخرى مع فتاة طيبة تكون صادقة معك ..

بارك الله فيكم جميعا .. وانى أصلى من أجلكم  
راكرة على ركبتي .. واذا لم يعد بي بعد أن أصبح  
سيدة ، فلن أصلى من أجل نفسي .. وانما سوف  
أصلى للجميع » ..

وأبعد مستر بيجوتوى عينيه عن وجهى كما لو كان  
قد أفاق من حلم رهيب . ثم قال بصوت مخفي يبدو  
كالهمس :

— من هو الرجل ؟ .. أريد أن أعرف اسمه ..  
قال بصوت متكسر :

بيجوتى ونظر مستر بيجوتى اليها .. ثم اشارت اليه  
بالجلوس فقال معتنرا :  
— لا .. ساظل واقفا !

ثم اخرج من جيشه الرسالة التي تركتها اميلى  
وقدمها الى مسرز ستيرفورث وقال لها :  
— ارجوك ان تقرئ هذه الرسالة ياسيدتي !

وبعد ان قرأتها سالها مستر بيجوتى وهو يشير  
إلى جملة « بعد ان أصبح سيدة » :

— هل سيحفظ وعده ويتزوجها .. ؟

فأجابته مسرز ستيرفورث بعزم :

— لا .. طبعا ..

فقال لها مستر بيجوتى :

— لماذا .. ؟

— لماذا .. ؟ لأنها اقل منه مقاما ..

## ٤٩ — مستر بيجوتى ومسرز ستيرفورث

فى صباح اليوم الثالى عدت الى لندن .. وصحبنى  
مستر بيجوتى بعد ان طلب منى ان اتوسط له لمقابلة مسرز  
ستيرفورث « والدة ستيرفورث » . فتوجهت اليها طالبا  
السماح برؤية مستر بيجوتى ووصفته بأنه رجل طيب  
ولطيف ولديه مشكلة يريد ان يعرضها عليها . فسمحت  
له بالدخول ..

كانت مسرز ستيرفورث جالسة على مقعد وثير ..  
وكانت روزا دارتل واقفة خلفها .. ونظرت الى مستر

التي كانت تقف خلفها وهمست في أذنها ببعض الكلمات ولكن يبدو أنها لم تقبل ما هممت به روزا في أذنها .  
وقالت :

ـ لا ياروزا .. لا !

وعندئذ قال مسْتَر بِيجُوتى :

ـ لا ياسيدى .. ليس هناك داع لأن تقلقني نفسك إلى هذا العد .. لقد جئت إلى هنا بدون أسل ..  
وخارج من هنا بدون أهل مثلما جئت .. !

وخرج مسْتَر بِيجُوتى وخرجت معه .. وتبعتنا روزا دارتل ، وسحبتني من ذراعي جانبا . وقالت وجهها يحمل كل مظاهر الغضب :

ـ لماذا أحضرت هذا الرجل إلى هنا ؟ .. لا أعرف أن كلام من مسر ستيرفورث وأبنها مجنون بالفخر، بنفسه وبعائلته ؟ .. لماذا أحضرته إلى هنا أذن ؟ .. لا هو ولا تلك الفتاة يساوى شيئا .. بودى لو أكوى وجه

- ولماذا لا ترتفعنها إلى مقامكم .. ؟
- أنها غير المتعلمة .. ولم تذهب إلى مدرسة ..
- علموها .. !
- أنها من عائلة متواضعة وفقيرة جدا ..
- اسمعى ياسيدى .. انت تعرفين بلا شك مدى حبك لولدك .. ونحن أيضا نعرف مدى حبنا لأولادنا .. ولكنك لا تعرفين كيف يكون حالك عندما تقدرين ولدك .. وأنا أعادتك بأن نقطع صلتنا بها تماما ولن نراها أبدا بعد أن يتم الزواج ..
- هذا مستحيل .. ان مثل هذا الزواج سيديمر مستقبل ابني .. وسيعرضه لللافاس والخراب .. ومع ذلك فيمكنتى أن أعطيكم بعض ..
- تعطينا بعض النقود ؟ .. ان هذا سيكون أسوأ مما فعله ابني !

وهنا تغيرت ملامح مسر ستيرفورث وظهرت على وجهها معالم الغضب .. وفي الحال انحنت روزا دارتل

تلك الفتاة بالنار .. ثم أقيها في الشارع .. بودى  
لو أقتلها .. !!

لقد رأيت أنواعاً وأشكالاً من الغضب تتبدى في  
وجوه الناس .. ولكن لم أر في حياتي غضباً عنيفاً مثل  
غضبها .. !!

وعند لحقت بمستر بيجوتى ، كان يسير أنتد ببطء  
هابطاً من التل . فسألته :

- والآن .. إلى أين أنت ذاهب .. ؟

فأجاب بصوت منخفض ولكن فيه الكثير من  
الاصرار :

- سأذهب للبحث عنها ، مهما بعد بها المكان ..  
وإذا لحق بها أو بي أي سوء .. فاني أشهدك على  
أن تذكر أن آخر كلماتي عنها : أن حبى لها لم يتغير ..  
وانى سامحتها .. !!

## الجزء الخامس

# الزواج

### ٣٠ - الخطبة

اخبرنى ستر سبنلو ان عيد ميلاد ابنته دورا  
سيكون الاسبوع القادم .. وانه سيكون مسروراً لـ  
قبلت دعوته لحضور حفل عيد ميلادها فى بيته الريفى .

وفى اليوم المحدد غادرت لندن فى الصباح الباكر  
حتى أصل فى وقت مناسب . وعندما وصلت الى  
البيت ، رأيت دورا واقفة فى الحديقة ، ومعها صديقة  
شابه اسمها مس جوليا ميلز .. وكان كلبه الصغير  
جيوب واقفا قرب قدميها .

وطوال اليوم ، كان ذهنى مشغولا بشيء

واحد هو : دورا .. أرى صورتها في أشعة الشمس  
المشرقة .. واسمع صوتها في تغريد الطيور  
الجميلة .. !

جلسنا تحت الاشجار وتناولنا طعامنا .. ثم غنت  
دورا وشدت بصوتها العذب الرائع .. وتناولنا  
الشاي .. وقبل المغرب عدت الى البيت راكبا عربة ..  
وكانت دورا بجواري ..

و قبل أن أغادر البيت عاندنا الى لندن ، انفتحت بى  
مس جوليما ميلز جانبها وقالت لى :

- مسiter كوبيرفيلد .. أريد أن أحدثك فى شيء ..  
أن دورا ستقيم عندنا بعض الوقت ضيفة علينا .. وأتمنى  
أن تحضر لزيارتنا !

وبعد أيام قليلة عزمت على زيارته مس جوليما ميلز  
فى بيتها حيث تقيم دورا .. وعزمت فى الوقت نفسه  
على عرض الزواج على دورا ..

وعندما وصلت كانت الاثنتان جالستان فى حجرة  
الاستقبال .. وبعد فترة استاذنت مس جوليما ميلز فى  
الخروج من الحجرة وتركتا وحدنا ..

ولا أدرى حتى الآن كيف أخبرت دورا بحبي لها ..  
لقد فعلت ذلك فى لحظة خاطفة .. قلت لها انى سأموت  
بدونها ..

أتوقعه .. هل تذكرين يا عمتى هذه السيدة .. إنها  
ببيجوتى ..

قالت عمتى ببيجوتى :

- مرحبا بك .. كيف حالك ؟

ثم التفتت الى قائلة :

- ليس من اللائق ان تدعوها باسمها القديم ..  
لقد تزوجت وأصبح لها الآن اسم آخر .. هو اسم  
زوجها (١)

والتفتت عمتى الى ببيجوتى وسالتها :

- ما اسمك الآن .. ؟

قالت ببيجوتى :

- باركيس ..

---

(١) من المألوف في إنجلترا ان تترك الزوجة اسم عائلتها  
وتنسخ باسم زوجها واسم عائلته ..

### ٣ - الإفلاس

عدت من زيارة صديقى القديم ترادلز .. وتوجهت  
إلى الحجرة التى كنت أقيم فيها أنا وببيجوتى ..  
وأصابتني دهشة شديدة حينما رأيت الباب مفتوحا  
وسمعت أصواتا كثيرة بالداخل ..

وفوجئت بوجود عمتى ومعها مستر ديك .. وكانت  
عمتى جالسة على بعض الصناديق .. أما مستر ديك  
فقد كان ممسكا بطياره ورقية كبيرة ..

صحت مرحبا :

- أملا بعمتى العزيزة .. هذا سرور لم اكن

وعندئذ قالت عمتى :

ـ هذا افضل .. كيف حالك يا باركيس !؟

وتناولنا الشاي .. ومن وقت لآخر كنت الاحظ ان  
عمتى تنظر الى بطريقة غريبة .. وتعجبت من ذلك ..  
فانا لم اخبرها بعد بأى شيء عن دورا .. فهل كان هذا  
هو السبب ؟ .. !؟

واخيرا قالت عمتى :

ـ ترورت .. عليك ان تتمالك نفسك وتمسك  
اعصابك وتسمعني جيدا ..

فقلت بلا تردد :

ـ حاضر يا عمتى ..

ـ هل فكرت وسائل نفسك لماذا انا جالسة هكذا  
على هذه الصناديق !؟ ..

ـ لا ياعمتى .. ولا اعرف لماذا ..

٤٣٢

قالت ببساطة وبوضوح :

ـ لأن هذه الصناديق هي كل ما املك .. لقد  
افلست تماما يا عزيزى !

لو انى سمعت خبرا عن غرق البيت وغرق جميع  
من فيه .. لما اندھشت بمثيل هذه الدھمة !

وواصلت عمتى حديثها :

ـ ديك يعرف ذلك ايضا .. لقد افلست ..  
واصبح كل ما املكه في هذا العالم موجودا في هذه  
الغرفة .. باركيس .. هل يمكنك اعداد سرير لينام  
ديك .. اى شيء يكفي لهذا الفرض ..

ووضعت عمتى ذراعها حول عنقى وقالت انهما  
لا تأسف لشيء الا بالنسبة لى وحدى .. ثم اخفت  
مشاعرها وقالت مشجعة :

ـ يجب ان تتحمل المصاعب ببسالة .. يجب الا  
ندع المصاعب تخيفنا او تقلقنا .. لابد ان نشق حياتنا  
مهما اكتفتها من متاعب وصعاب .. ياترورت !

فقلت :

– نعم .. هو صباح جميل بالفعل .. هل يمكننى  
أن أتحدث معك قليلاً قبل ذهابك إلى المحكمة .. ؟

– طبعاً .. لماذا ؟ .. تعال إلى مكتبي ..  
وتبعدت إلى حجرة مكتبه ، وقلت له :

– أني أسف لما سوف أقول .. لقد وصلتني أخبار  
سيئة عن عمتي .. لقد أفلست وفقدت جميع أموالها ..  
ولذلك فأنا مضطر للانقطاع عن عملى بالكتب ، وأرغب  
في استرداد مادفعته عمتي من نقود مقابل تدريبي ..

قال ماستر سبنلو آسفاً :

– أني أسف لذلك .. ولكن ذلك غير ممكن ..  
فلو كنت وحدي لكان من الممكن أن أرتب ذلك .. ولتس  
هناك شريكى في المكتب ماستر جوركينز ..

– أذن .. هل تعتقد أنى لو حادثت ماستر جوركينز ..  
في الأمر .. سيكون من الممكن تسوية هذا الموضوع ..

## ٤٢ – لقاء مع آجنس

كان أول شيء صدمت أن أفعله في صباح اليوم  
التالى ، هو اعتفاء نفسي من العمل من مكتب « سبنلو  
وجوركينز » وأن استعيد منها المبلغ الذى دفعته عمتي  
مقابل تدريبي .. وجلست في أحد أركان المكتب في انتظار  
وصول ماستر سبنلو ، وأفكر في الوقت نفسه في دورا ..

وعندما وصل ماستر سبنلو ورأني ، حياني قائلاً :

– كيف حالك ياكيوب فيلاد .. انه صباح جميل ..  
أليس كذلك ؟ !

وبينما كنت أسيير حائرا في الشارع ، سمعت وقع عجلات عربة صغيرة قادمة من خلفي . وعندما اقتربت مني العربية ، رأيت وجهها جيلا . رأيت أجنس بنفسها . فصحت مهلا :

ـ أجنس .. عزيزتي أجنس .. ياله من سرور  
أن أراك هكذا فجأة .. إلى أين تذهبين .. !

فقالت وهي تنزل من العربية تسير بجانبي :

ـ أني ذاهبة لزيارة عمتك .. أني لست وحدى هنا .. معى أبي ويوريyah هيـب .

ـ يوريyah هيـب ؟ .. عليه اللعنة .. هل أصـبح شريكـاً لـوالـدـكـ فـىـ مـكـتبـهـ ؟

ـ نـعـمـ .. انـ لـهـ تـأـثـيرـاـ بـالـغاـ علىـ أـبـيـ .. لـقدـ  
حـدـثـ تـغـيـيرـ فـىـ بـيـتـنـاـ أـوـدـ أـنـ أـخـبـرـكـ بـهـ .. أـنـ يـورـيـاهـ  
وـأـمـهـ يـعـيـشـانـ مـعـنـاـ الـآنـ فـىـ الـبـيـتـ .. وـاسـواـهـ فـىـ هـذـاـ  
الـأـمـرـ . أـنـيـ أـصـبـحـ لـاـ استـطـيعـ أـنـ أـنـفـرـدـ بـالـجـلـوسـ مـعـ

ـ لا .. لا أـعـتـقـدـ أـنـ مـسـتـرـ جـوـرـكـيـنـ سـيـوـافـقـ عـلـىـ  
شـئـ كـهـذاـ ..

وـعـذـلـ وـصـدـعـتـ إـلـىـ مـكـتبـ مـسـتـرـ جـوـرـكـيـنـ فـىـ  
الـطـابـقـ الـعـلـوـىـ .. وـشـرـحـتـ لـهـ مـوـضـوعـيـ وـطلـبـيـ ..  
وـفـوجـئـتـ بـقـوـلـهـ :

ـ أـعـتـقـدـ أـنـكـ تـحـدـثـ فـىـ هـذـاـ مـوـضـوعـ مـعـ مـسـتـرـ  
سـبـنـلـوـ ..

ـ نـعـمـ تـحـدـثـ مـعـهـ .. وـقـالـ أـنـهـ مـنـ المـكـنـ أـنـ  
يـوـافـقـ عـلـىـ هـذـاـ طـلـبـ لـوـلـاـ أـنـ .. .. ..

ـ أـذـاـ كـانـ مـسـتـرـ سـبـنـلـوـ لـمـ يـوـافـقـ فـاـنـاـ أـيـضاـ لـ  
استـطـيعـ أـنـ أـوـافقـ ..

ـ وـلـكـنـهـ قـالـ .. .. ..

ـ أـنـيـ آـسـفـ .. مـادـامـ لـمـ يـوـافـقـ فـاـنـاـ لـآـوـافقـ  
وـلـمـ اـكـتـشـفـ حـتـىـ الـآنـ مـنـ ذـاـ الذـىـ لـمـ يـوـافـقـ  
مـلـ هـوـ مـسـتـرـ سـبـنـلـوـ .. أـوـ مـسـتـرـ جـوـرـكـيـنـ ؟ـ !

وقت على الفور بكتابه رسالة الى الدكتور سترونج أطلب منه أن ياذن لي بمقابلته في الساعة العاشرة من صباح الغد .

أينما تكون أجنس .. فإنها تترك لمساتها الحلوة على كل شيء في المكان الذي توجد فيه .. فعندما عدت إلى البيت ، رأيت الحجرة مرتبة منظمة ، ورأيت نفس الجليسر الجميلة الخاصة بعمتي معلقاً على النافذة ، ورأيت مقعدي موضوعاً بجوار النافذة بالقرب من مقعد عمتي .. وبينما كنت أتأمل هذه اللمسات الرقيقة ، سمعنا طرقاً على الباب .. وعندئذ قالت أجنس :

- اعتقد أن أبي قد وصل .

فتحت وفتحت الباب .. ودخل مستر ويكليلد ومعه بورياه هيب . وأدهشنى التغيير الكبير الذى لحق بمستر ويكليلد .. فقد علت وجهه حمرة غير صحية ، وازداد ارتعاش يديه .. وفجعت بمنظره هذا .. فقد تيقنت أن الرجل أوشك أن يفقد قواه تماماً ، ويعتمد كلياً على

أبي وحدنا كما اعتدنا .. فيورياه ميب أصبح يفصل بيننا ..

كانت عمتي جالسة وحدها عندما وصلنا .. وحكت لها عمتي قصة مالحق بها من خسائر وكيف خسرت كل أموالها .. ثم قالت في النهاية :

- لا أدرى ماذا يجب أن نفعل الآن .. فاللكرخ لن يدر علينا أكثر من سبعين جنيهها كل سنة .. أما ديك فلديه مائة جنيه هي كل مدخراته .. ولكنها تخصه وحده ..

فالكلورخ

- علمت ان الدكتور قد أغلق مدرسته .. وجاء ليعيش هنا في لندن .. وهو يبحث عن شخص يساعدته في إعداد كتابه الذي يؤلفه .. واعتقد ان تروتوود يمكنه أن يلتحق بهذا العمل ..

قصصت فرحاً :

- عزيزتي أجنس .. انت أفضل أصدقائي !!

— اذا وجدت انا او امى او مستر ويكيبلد اية طريقة لمساعدتك .. فان ذلك سيكون من دواعى سرورنا ..

وقال مستر ويكيبلد بصوت منخفض :

— ان يورياه هيب نشيط فى عمله .. وانا اوافق على ما يقول ..

وقال يورياه هيب :

— انى سعيد بهذه الثقة !

وهنا قالت اجنس لابيها :

— ما راييك ياابى ان تخرج فى نزهة معى انا وتروننود ؟ ..

فقال يورياه هيب :

— لدى بعض الاعمال .. ولذلك فسوف اترك مستر ويكيبلد معكم ..  
وخرج ..

يورياه هيب ذلك المخلوق الانتهازى المتسلق .. تماما مثلما يعهد انسان الى قرد ليرعاه ويتولى شئونه !

وقالت عمتى :

— مستر ويكيبلد .. لقد حدثت ابنتك فيما لحقني من خسارة وما فقدته من اموال .. لقد طلبت منها المشورة والنصيحة .. انى اعتقد ان ابنتك اجنس هي افضل عضو فى الشركة ..

وهنا قال يورياه هيب :

— ساكون سعيدا لو ان مس اجنس ستتصبح شريكة لنا فى المكتب ..

فقالت له عمتى بشيء من الفضونة :

— لقد أصبحت شريكا فى هذا المكتب .. وهذا يكفيك .. كيف تسير معك الاحوال ؟  
وأجابها يورياه بان الاحوال تسير بطريقة حسنة ..  
ثم قال بعد لحظة :

توجهت في طريقي الى هاي جيت .. وانا افك  
في حياتي الجديدة التي اتوقعها في الفترة القادمة ..  
وسممت على ان اعرض على الدكتور سترونج رغبتي  
في القيام بعمل فترتين كل يوم مقابل اجر مضاعف  
حتى اتمكن من مواجهة تكاليف ونفقات حياتي  
الزوجية ..

وبينما كنت في طريقي الى بيت الدكتور .. شاهدت  
بيتا صغيرا يشبه الكوخ معروضا للبيع .. فتوجهت  
إليه وتفرجت عليه من الداخل والخارج .. كانت هناك  
حديقة صغيرة ملحقة به وتصالح في نظرى للكلب  
جيـب .. وافتنت أيضاً بأن البيت مناسب تماماً لحياتي  
الزوجية .. مع دورا ..

وصلت أخيراً الى بيت الدكتور سترونج .. ورأيته  
واقفاً في الحديقة .. وتهلل وجهه بالبشر حين رأني ..  
وصاح :

- عزيزى كوبريفيلد .. انى مسرور لرؤيتك ..  
ومسرور اكثـر لرغبتـك في العمل معـى .. ولكن الـيس

وهكـذا أتـبع لـنا أن نـعاود اـحساسـنا بالـسعادة  
وأن نـتحدث بـحرية عن ذـكريـات أيامـنا السـعيدـة في  
كانـترـبرـى .. وـعاد مـسـتر ويـكـيفـيلـد إـلى حـالـتـه الطـبـيعـية  
الـسـابـقـة ..

ويـعـد أن تـناـولـنا الطـعامـ مـعـا ، جـلـسـتـ آـجـنـسـ بـجـوارـ  
أـبـيهـا ، وـصـبـتـ لهـ كـاسـاـ منـ النـبـيدـ .. وـعـنـدـمـاـ حلـ الـظـلـامـ  
رـقـدـ نـائـماـ فيـ هـدوـءـ .. فـتـسـلـلـتـ آـجـنـسـ منـ جـانـبـهـ وـانـجـهـتـ  
نـحـوـ النـافـذـةـ .. وـعـنـدـنـدـ رـأـيـتـ الدـمـوعـ تـمـلاـ عـيـنـيـهاـ ..

لن أنسـى أـبـداـ تـلـكـ الصـدـيقـةـ المـعـزـيـةـ .. لـقدـ مـلـاتـ  
قـلـبـىـ بـحـبـ الخـيرـ .. وـمـلـاتـ عـقـلـىـ بـالـفـكـارـ  
الـطـبـيـةـ .. لـقدـ شـجـعـتـنـىـ لـكـىـ أـقـوىـ عـلـىـ ضـعـفـىـ وـأـنـتـصـرـ  
عـلـىـ الصـعـابـ ..

حتـىـ عـنـدـهـاـ حدـثـتـهاـ عـنـ دـورـاـ .. كـانـتـ تـنـصـتـ إـلـىـ  
وـأـنـاـ أـثـنـىـ عـلـىـ دـورـاـ وـأـعـدـ مـحـاسـنـهـ .. آـهـ يـاـ آـجـنـسـ ..  
يـاشـقـيـةـ الرـوـحـ مـنـذـ أـيـامـ الصـباـ .. لـيـتـنـىـ عـرـفـتـ الـآنـ  
كـلـ مـاعـرـفـتـهـ فـيـمـاـ بـعـدـ .. لـيـتـنـىـ عـرـفـتـ وـلـوـ لـمـةـ وـاحـدةـ  
مـنـ مـلـامـحـ الـمـسـتـقـبـلـ !

مستر ميكابير .. لاحظت ان ولديه كانا راقدين على سرير واحد اركان الغرفة . كما لاحظت ايضا انه قد تناول قبل وصولى مشروبا قويا .. وقال بعد فترة :

- ساذهب الى كاتربيرى .. لقد سألنى صديقى يورياه هيب ان اعاونه فى عمله .. ان صديقى هيب رجل راجع العقل واسع الأفق .. انه لن يعطينى اجرًا كبيرا .. بل سيقوم بسداد كل ديونى !

اندهشت كثيرا لدى سماع هذه الأخبار وأخذت افكر في معناتها وفيما ورائها .. وقالت مسز ميكابير :

- انى على يقين من ان ميكابير لو شغل عقله فى الاعمال القانونية فسينجح ويتبوا مكانة عالية .. وربما يصبح قاضيا .. هل تعتقد ان مستر ميكابير يستطيع ان يصبح قاضيا ؟

لأجيتها :

- ولم لا !!

من الأفضل ان تفكك في عمل احسن من هذا .. اعتقد ان مبلغ السبعين جنيها سنويا مبلغ ضئيل ولا يكفيك .. فقلت له عارضا فكريتى :

- اعتقد انك ستعطينى المبلغ مضاعفا اذا اشتغلت فترتين يوميا .. فترة في الصباح وثانية في المساء ..

وبدا واضحًا ان الدكتور سترونچ كان سعيداً بان اساعدته في عمل القاموس الكبير الذي يقوم بتأليفه منذ سنوات طويلة .. وكانت جيوبه كلها مملوءة بقطيع صغيرة من الأوراق عليها كتابات تخص العمل في هذا القاموس .. واتفقنا على ان نبدأ العمل معا في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي ..

وبعد عدة أيام .. تلقيت رسالة من مستر ميكابير ، يدعونى فيها لزيارة في حجرته التي استأجرها في لندن .. وكتب في تلك الرسالة : « ستدشن عندما ترى وتسمع ان الاحوال قد تحسنت على نحو افضل » ! وعندما لبست هذه الدعوة ، ووصلت الى حيث يعيش

ـ ولماذا تسؤال مثل هذا السؤال الغبي ..؟!  
ـ دورا .. لقد أصبحت شحاذًا .. لقد أفلست ..!  
ـ اذا واصلت الحديث هكذا فسوف أطلب من  
جipp أن يغضبك !

ولكن لأن منظري كان جادا ، فقد تنبهت دورا ..  
ووضعت يدها على كتفى ، وبدأت في البكاء .. وعندي  
ركعت على ركبتي وطلبت منها أن تشفع بي ولا تحطم  
قلبي .. وقلت لها مستفسرا عن مصير حبى :

ـ هل ما زلت تحبيني يا دورا ..؟!

فقالت بسرعة :

ـ نعم .. نعم .. ولكن أرجوك لا ترهبني بمثل  
هذه الأخبار عن فرقك وعن عملك الشاق !

وسألتها :

ـ هل في استطاعتي ان اقول شيئا ..؟!

## ٣٣ - وأخبرت دورا ..

وبعد مضي ما يزيد عن أسبوع من حياتي الجديدة ..  
كنت أعمل مجدًا في فترتي الصباح والمساء .. رتبت  
أمرى لزيارة دورا ، التي لم تكن تعلم شيئا حتى الآن  
عن خسارة عمتي وقدها لأموالها .. ولا عن عملى  
الجديد الذي أقوم به مع الدكتور سترونج ..

جاءت دورا إلى حجرة الاستقبال .. وكلبها جيب  
جري ويقفز بجانبها .. وسألتها :

ـ هل تعتقدين أن بإمكانك أن تكوني على علاقة  
حب مع شحاذ ..؟!

فاجابت فوراً :

- لا أرجوك .. لا نقل شيئاً عن ...  
- اذن .. مادمت تقبلين الزواج برجل فقير  
مثلي ، فسوف يكون من الأفضل أن تنظرى إلى الحياة  
بجية .. وأن تتعلمي شيئاً يمكنك من فحص دفاتر  
حسابات والدك .. ان ذلك سيفيدك مستقبلاً !  
فشرعت في البكاء مرة أخرى .. ثم استدعت  
صديقتها جوليا ميلز ..

وعندما حضرت صديقتها طلبت منها أن تعاون دورا  
في قراءة وفهم أي كتاب في طهي الطعام أو أي دفتر  
للحسابات ..

ووعدتني صديقتها بأنها ستتحاول ذلك .. ولكنها  
لم تفعل كثيراً لتحقيق هذا الطلب ..

### ٤٤ - مسْتَر سِبِّنُلو يَعْرُفُ الْعَلَاقَةَ

وذات يوم بينما كنت متوجهاً إلى مكتب مسْتَر سِبِّنُلو ، وجدته جالساً يتألم من شدة الحزن ، لدرجة أنه لم يرد على تحية الصباح التي القيتها إليه ..

ونظر إلى بيرود ، وسألته أن أصحبه إلى حانة  
مجاورة . وصعدنا معاً إلى الطابق العلوي بتلك الحانة  
وأدخلته إلى حجرة ، ورأيت مسْ مارستون جالسة  
وكانها كانت تتوقع حضورنا ..

- لو سمحت .. أرجو أن تعرّضي على مسْتَر كوبريفيلد ما تعتقدين به في حقيقتك !

امس ، لاحظت ان الكلب جيب يلعب بورقة ، فأخذتها منه وقرأتها فتبينت انها رسالة .. وذمت الى مس دورا سبنلو وطلبت منها ان تعطيني كل الرسائل السابقة .. وهكذا حصلت على تلك الرسائل التي اريتكما ايها !

فالفتت الى مس터 سبنلو وقال :

ـ هل لديك شيء تقوله تفسيرا لذلك ؟ ..

فأجبت :

ـ ليس لدى ما أقول .. سوى أن اللوم يقع على أنا وحدي !

ـ سألتني بكل هذه الرسائل الى نار المدفأة .. وعليك أن تعطيني جميع الرسائل التي أرسلتها لك ابنتي لأنقيها في النار ..

ولم أافق بالطبع .. واستمر مس터 سبنلو في غضبه :

وأخرجت مس مارستون آخر رسالة كنت قد أرسلتها الى دورا .. وقال مس터 سبنلو :

ـ اعتقد يا مس터 كوبريفيلد أن هذه الرسالة مكتوبة بخطك ؟

قلت : نعم .. !

وعندما قدمت اليه مس مارستون بعض الرسائل الأخرى قال :

ـ واعتقد أن هذه الرسائل الأخرى مكتوبة بخطك

قلت : نعم .. !

فأشار الى مس مارستون وقال لها :

ـ استمرى يا مس مارستون فى حكايتها ..

فقالت :

ـ لقد بدأت أشك فى وجود علاقة بين مس터 كوبريفيلد ومس دورا سبنلو .. فبدأت أراقبهما فى حذر وعناء .. وبعد أن تناولنا الشاي بعد عصر يوم

جُمِعًا من النَّاسِ يقفون حول الباب . . . وعندما دخلت رأيت الكاتب العجوز تيفي جالساً على مقعد غير مقعده ، وقد امسك بقيمة في يده . وقال عندهما وأنا :

ـ حدث شيء فظيع يا ماستر كوبيرفيلد !

ـ ماذا ؟ . . . ماذا حدث ؟ !

ـ ماستر سبنلو .

ـ ماله ؟ ! . . .

ـ مات . . . لقد سقط من عربته

ـ ربما تعرف أنتِ رجل غنى . . . وأنِ ابنتي من القرب الريادي . . . وإنْ لا أُكِرِيدُ أنَّ اغْيَرَ فِي ترتيبات ثروتِي . . . وسأعطيك مهلة لَدَة اسبوع واحد تفكُّر فيه فيما قلته لك !

وَقَبْلَ أَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَكْتَبِ . . فَكَرِتَ فِي أَنْ اتَرْجِه بِسُرْعَةٍ إِلَى بَيْتِ دُورَا . . . وَكَتَبَ رِسَالَةً قَصِيرَةً إِلَى مَسْتَرْ سِبِّنْلُوَ أَنْ يَتَرَفَّقَ بِابْنَتِه وَأَنْ يَعْامِلَهَا بِلَطْفٍ . . . وَتَرَكَ الرِّسَالَةَ عَلَى الْمَائِدَةِ .

وَذَهَبَتِ إِلَى مَسْنَى جُولِيَا مِيلِزَ ، فَوَجَدَتِ أَنْ لَدِيهَا فَيْضًا مِنَ الْكَلِمَاتِ المَدْهُشَةِ كَانَتْ تَرِيدُ أَنْ تَصْبِهَ فِي مَسَاعِيِ . فَتَرَكْتُهَا وَإِنِّي أَكْثَرُ تَعَاسَةً مَا كَنْتُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ .

وَحَكِيتُ لِعْنِي كُلَّ مَا حَدَثَ . . . وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْطِنِي أَى أَمْلٍ . . فَنَفَتَتْ عَلَى سَرِيرِي يَا نِسَا يَتَمَرَّقُ قَلْبِي مِنْ شَدَّةِ الْحُزْنِ . .

وَفِي صِبَاحِ يَوْمِ السِّبْتِ ذَهَبَتِ إِلَى الْمَكْتَبِ . . فَرَأَيْتُ

– أنا رجل له قدرة كبيرة على التخييل .. ووجدت  
أن القانون يتطلب قدرًا كبيراً من الحقائق ..  
– وهل يعطيك الآن أجرًا طيباً ..?  
– لقد سدد كل ديوني .. كلها ..!  
– لم أكن أتوقع أنه أصبح حراً في التصرف في  
النقود إلى مثل هذه الدرجة .. هل ترى مستر ويكتيفيلد  
كثيراً ..?  
– لا .. ليس كثيراً .. انه رجل ذو سمعة  
كبيرة .. ولكنه لم يعد ذا فائدة !  
– اعتقاد أن شريكه هو الذي يحاول أن يجعله بلا  
فائدة ..!  
– يا عزيزى كوبريفيلد .. إننى هنا مجرد موظف  
موشوق فيه إلى حد كبير .. وهناك بعض الأمور  
لا استطيع أن أتحدث فيها بحرية ..  
لقد تغير مستر ميكاؤير .. أصبح هناك حاجز ..

## ٣٥ – يورياه يقول أكثر من اللازم

ذهبت إلى كانتربيري لزيارة مستر ويكتيفيلد في  
مكتبه وبنته .. وفي الحجرة الصغيرة الملحقة بالمكتب  
والتي كان يشغلها يورياه هيب من قبل ، رأيت مستر  
ميكاؤير جالساً ..

سالته :

– هاه .. هل أحببت العمل بالقانون يا مستر  
ميكاؤير ..؟

أجاب :



بورياه هيبي وآجنس .

٢٥٧

ـ ٩ ~ اـ كـورـ فـيلـ

يفصل بيني وبينه .. ولم نعد صديقين مثلما كنا في  
الماضى ..

كانت آجنسجالسة في حجرتها . فصحت بها :

ـ آجنس يا عزيزتي .. انى أشعر بالاحتياج اليك  
في الفترة الأخيرة .. كنت افكر فيك لأنى في حاجة  
إلى تصحيحتك وتشجيعك .. عندما تكونين معى ، اشعر  
بأن أحوالى تتحسن إلى الأفضل .. فما هو السر فى  
ذلك يا آجنس .. ان ثقنى كلها فيك انت وحدك !

فقالت برقـة :

ـ ولكن لا يجب ان تضع هذه الثقة في انا ..  
يجب ان تضع ثقتك في سـورـا ..

وفي المساء جلسنا لنتناول طعام العشاء .. وشربـ  
مستـرـ ويـكـيلـدـ نـخـبـ عـمـتـىـ .. وـنـخـبـ مـسـتـرـ دـيكـ .. ثمـ  
وقف يوريـاهـ وقال :

ـ اـنـىـ اـشـرـبـ نـخـبـ اـجـمـلـ فـتـاةـ عـلـىـ ظـهـرـ الـأـرـضـ !

٢٥٦

- انظر اليه ١ ٠٠ بسبب هذا الرجل فقدت اسمي خطرة خطرة ٠٠ وفقدت هدوئي وسلمي ٠٠ وفقدت مكتبي وبيتي ٠٠

فصالح به يورياه :

- لا تكن غبيا هكذا يامستير ويكيبلد ٠٠ لم يحدث شيء فيه أى ضرر ٠٠

وواصل مستر ويكيبلد كلامه :

- ظننت انى استطيع ان اثق به لأن مصلحته كانت تقضى منه ان يكون صادقا معى ومخلصا لى ٠٠ ولكن انظر كيف أصبح !

قال يورياه مهددا :

- كوبيرفيلد ٠٠ من الأفضل ان تسكته ٠٠ وان تمنعه من ان يقول اشياء سيندم عليها فيما بعد اشد الندم !

فصرخ مستر ويكيبلد :

كان مستر ويكيبلد يمسك في يده كأسا فارغه ، ورفع عينيه الى صورة زوجته السابقة أم اجندر ، ثم وضع يده على رأسه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

- انى احقر من ان اطلب شرب نخبها ٠٠ ولكنني معجب بها ٠٠ وأحبها !

وأخذ مستر ويكيبلد يعصر يديه في بعضهما معاً عن شدة الالم الذي يعتريه ٠٠ وواصل يورياه كلامه :

- ان تكون ابا لاجنس يا ويكيبلد ، فان ذلك شيء يدعو للغفر ٠٠ اما ان تكون زوجها ٠٠ ٠٠

وهنا أطلق مستر ويكيبلد صرخة الالم وتوجه لم اسمع مثلها في حياتي كلها ٠٠ فصالح به يورياه :

- ماذا في الأمر ٠٠ هل جنت ؟ !

ووضعت ذراعي حول مستر ويكيبلد محاولا تهدته ٠٠ وبيدو ان الرجل قد عانى من لحظة جنون عابرة ٠٠ ولكنه أخذ يستعيد هدوءه رويدا رويدا ٠٠ ثم قال فجأة وهو يشير الى يورياه :

مروبي من الجوانب المظلمة في هذا الحزن وهذا  
الحب .. انتظر كيف تهدمت وأصبحت حطاماً ..  
والقى بنفسه على كرسيه وانفجر باكيا ..

كان الظلام قد انسلل حين أوقفت عربة امام  
الباب وهممت بركوبها .. ولكن يورياه هب جاء مسرعاً  
ووقف بجانب العربة وقال بصوت منخفض يبدو مثل  
صوت الضفاعة :

- كويرفيلد .. اعتقد انه سيسرك ان تسمع انتا  
قد سوينا امورنا .. لقد ذهبت اليه في غرفته ولم تعد  
يبينني وبينه الان اية مشاكل .. وربما انت نفسك قد  
تعرضت في مرة لما تعرضت انت له .. اعني ان تقطف  
من الشجرة تفاحة لم تنضج بعد .. ولكن الوقت سيأتي  
حتماً .. وانا استطيع ان انتظر .. !

- سأقول اي شيء يعجبني .. لماذا لم يعد في  
مقدوري ان اقول ما اريد .. !؟

ووجه يورياه حديثه الى قائلًا :

- كويرفيلد .. انت احذرك .. اذا لم تمنعه من  
الاستمرار في الكلام فلن تكون في مثل هذه الحالة  
صديق الذي يعرض على مصالحة .. انا وانت نعرف  
مانعنى .. ليس كذلك ؟ .. لا ترى انى مازلت  
متواضعاً .. واذا كنت قد قلت شيئاً اكثراً من اللازم ،  
فانا اسف لذلك .

و قال مستر ويكتيلد في صوت باك :

- اوه .. تروتوود .. تروتوود .. تذكر كيف  
انحدر حالى منذ ان رأيتني اول مرة في بيتي هذا ..  
لقد هدىي الضعف .. وأصبحت لا استطيع التذكر ..  
وتحمل حزنى الى مرض .. لقد احببت ابنتي لانى  
كنت اذكر فيها وجه امها .. وأصبحت الان ضعيفاً  
حتى في حزنى وحيبي .. بل ضعيفاً حتى في طريقة

**قالت :**

- انظر .. ما انت اذا ت يريد ان تخضبني وتغضبني  
مني .. انهم يعاملونني بعنتهى اللطف والاعطف ..  
وأنا سعيدة بهذه المعاملة ..

**قلت محاولاً اقناعها :**

- ولكن يمكنك ان تظلى سعيدة عندما يعاملونك  
بطريقة اكثر جدية وواقعية ..

**قالت ببرقة شديدة :**

- لا تقسو على هكذا .. يا عزيزى !  
وطلبت مني ان أحضر لها كتاباً يعلمها فن طهي  
الطعام .. فسررت كثيراً بهذا الطلب .. وحضرت لها  
الكتاب المطلوب ، وكتاباً اخر لتعليم الحساب ..  
ولكن كتاب الطهي سبب لها صداعاً .. أما كتاب  
الحساب فقد جعلها تبكي .. وصممت على ان اقتسم  
بتعليمها بنفسى ..

**قلت لها :**

- والآن .. افترضى يا عزيزتي اننا قد تزوجنا ..

## **٣٦ - دورا .. وكتاب الطهي**

وكنت اتردد كثيراً على دورا .. ولكن كان هناك  
شيء يقلقني باستمرار .. وهو أن دورا تحب ان يعاملها  
الجميع كمالوكانت لعبة جميلة .. كانت عمنى مثلًا تسمىها  
« الزهرة الصغيرة » .. وكانت عمنا مس لاقينيا تدللها  
اكثر وأكثر .. وصمدت على مناقشة هذا الموضوع  
مع دورا .. قلت لها :

- اعتقد ان من الأفضل ان تطلبى منهم ان يغيروا  
طريقة معاملتهم هذه .. لأنك تدركتين يا عزيزتي انك  
لمست طفلة صغيرة تحتاج لكل هذا القدر من التدليل  
والدلع ..

وانك ذهبت الى الجزار لتشترى لى قطعة من اللحم  
فهل تعرفين كيف تشترينه ..

قالت :

- ولماذا أعرف كيف اشتريها مadam الجزار يعرف  
كيف يبيعها ..

- اذن .. لنفرض مثلاً انى طلبت منك ان تطهى  
لنا طبقاً من .. اليخنى الايرلندي <sup>(١)</sup> .. فماذا  
تفعلين ..

قالت على الفور :

- أنادى على الخادمة . واطلب منها ان تعدد لنا  
هذا الطبق ..

ومكذا لم يعد كتاب الطهى ذا نفع .. ووضعته  
في أحد الأرکان الجانبية بالحجرة . ليقف او ليجلس  
عليه كلبها الدلل ..

(١) طبخة ايرلندية شهيرة وسهلة ، تتكون من صحن نقع  
اللحم الصغير سلق ببطء مع بعض الخضروات .

## ٣٧ - الزوجة الطفلة

تزوجنا ..

وعلشت معنا في البيت خادمة تسمى ماري آن ..  
وقلت لدورا ذات يوم :

- عزيزتي .. يبدو أن ماري آن ليس لديها أية  
فكرة عن الوقت .. فالطعام يجب أن يقدم في الساعة  
الرابعة .. ونمن الآن في الساعة الخامسة

قالت ببساطة :

- ربما تكون الساعة هي المخطئة في تحديد

بعدها مسز كيدجربرى التى كانت عجوزاً لاتقوى على  
اداء اي عمل .. ثم خادمة اخري كانت تحطم كل  
شيء .. ثم عدداً من الخادمات اللاتي لا يعرفن شيئاً  
عن واجباتهن .. واخيراً استخدمنا فتاة شابة اخذت  
قبعة دوراً وارتدتها حين ذهبت لمقابلة صديقها !

لقد أصبح الجميع يخدعوننا بسهولة .. حتى  
أصحاب المتاجر أصبحوا لا يعطوننا إلا أسوأ بضائعهم .  
فجميع ماشتريناه من أسماك كانت فاسدة .. وأذا  
اشترينا لحما فانه لا يؤكل بعد طهيه .. حتى الخبر  
الذى كانا نشتريه أما أن يكون فاسداً أو مبلولاً .. وحتى  
النساء اللاتي كانوا حاضرمن لفسل ملابسنا كن يبعن هذه  
الملابس بعد غسلها .. وكانت الخادمات تشترين  
بعض حاجياتهن ويطلبن منها أن ندفع ثمنها ..  
وجاء ضيف صديق ليزورنا فقدمنا اليه طعاماً لا يؤكل !  
وبعد انصراف الضيف .. جاءت دوراً وجلست  
بجانبى وقالت :

- انى أسفه يا عزيزى لما حدث .. كان من

الوقت .. وانا لا اجسر على الكلام معها فى مثل ذلك ..  
انى أخاف منها ..

ـ قلت بعد ان فاهمتى وانا احاول في نفس الوقت  
ان امسك بأعصابى :

ـ بالأمس اضطررت الى الخروج قبل ان يتم طهي  
لعام .. وأول أمس لم يكن اللحم مطبوخاً بطريقة  
سليمة .. أما اليوم فليس هناك طعام على الاطلاق ..  
انى لا ألومك في ذلك .. ولكن الحينـة بمثل هذه  
الطريقة غير مرحة !

ـ قالت بطريقة هي خليط من الغضب والدمع :

ـ انت ولد قاس .. هل تريد ان تقول انى زوجة  
سيئة ؟ !

ـ أما المشكلة الحقيقة الكبرى فكانت تمثل في  
الخدمات اللاتي أصبحننا نستخدمهن في البيت واحدة  
وراء أخرى .. وبعد أن تركتنا ماري أن لاحظت أن  
بعض الملاعق وبعض النقود قد اختفت .. ثم استخدمنا

الافضل قبل ان اتزوج بك ، ان اعيش مع اجنس مدة  
عام كامل حتى اتعلم منها كل شيء .. هل تحب ان  
تطلق على اسما افضل ان تدعوني به ؟ ..  
سائلتها :

- ماهو ..

- ادعوني « الزوجة الطفلة » .. فكلما نوبت ان  
تضضب مني .. فقل في نفسك : أنها مجرد زوجة  
طفلة !

## ٣٨ - محاولة التأثير على عقل دورا

من الان نحو عام ونصف عام على زواجهنا .. وبعد  
عديد من المحاولات توقفنا تماما عن ادارة المنزل ..  
لقد اصبح المنزل يدير نفسه بنفسه .. واصبح لدينا  
الآن خادم وطباخة .. ويبدو ان هذا الخادم لم يكن  
لديه شيء يشغله سوى المشاجرة مع الطباخة طول  
الوقت ..

وسرق الخادم ساعة دورا الذهبية وباسها ..  
فقبض عليه ووضع في السجن .. وأمام القاضي اعترف  
بالأشياء الأخرى التي سرقها منا .. كما اعترف ايضا

وانخرطت فى البكاء . فقلت لها :

- دورا ياحبى .. أرجوك ان تنتصلى لما اقول ..  
يجب علينا ان نتعلم كيفية التعامل مع مؤلاء الناس الذين  
نستخدمهم .. انى اخشى ان اقول انتا نحن الذين  
نعطيهم الفرصة ليغفلوا مثل هذه الاشياء السيئة ..  
انى قلق من اجل ذلك ..

فواصلت بكاءها وهى تقول في نفس الوقت :

- اذا كنت لا تشعر بالسعادة فلماذا تزوجتني  
اذن .. لماذا لا ترسلي لاعيش مع عمتي في بوتنى ..  
او لاعيش مع صديقتي جوليا ميلز في الهند ..  
واصبح الكلام معها بلافائدة ..

ومع ذلك فلم افقد الامل .. وصممت على ان اقوم  
بنفسي بتطويع عقل دورا ليصبح اكثر جدية .. وبدأت  
هذه المحاولة على الفور ..

قرأت لها بعض اعمال شيكسبير .. وقرأت لها  
بعض نصوص المعرفة المفيدة .. ولكنها بدأ تخمن

٢٧١

بالأشياء التي سرقتها الطباخة .. وشعرت بالخجل  
من نفسي بعد اكتشافى انى سرقت من جانب هؤلاء الذين  
كنت ادفع لهم اجرهم كاملا ..

وشجعتنى جميع هذه الحوادث على ان افتح دورا  
في هذا الموضوع بطريقة جادة وحازمة .. فقلت لها في  
احدى الامسيات :

- ياحبى .. يبدو ان النقص في قدرتنا على  
ادارة المنزل لا يتسبب في الحق الضرار بنا وحدنا ..  
بل انه يلحق الضرار بالآخرين أيضا .. يبدو انتا  
اصبحنا نشجع الناس على ان يصبحوا لصوصا ..  
لقد أصبحت اشعر بأن هؤلاء الناس يفعلون مثل هذه  
الاشياء السيئة لأننا لسنا حازمين معهم بشكل  
كاف ..

فضاحت دورا قائلة :

- اوه .. اوه .. ما هذا الذى تقول .. هل رأيتني  
في مرة وانا اسرق ساعات ذهبية !؟ ..

٢٧٠

- لا فائدة في ذلك .. وعليك ان تطلق على الاسم  
الذى احبه : الزوجة الطفلة !

وهكذا أصبحت على يقين من انتا غير متائمين  
عقلاً أو أهدافاً .. وبدلًا من محاولاتي في أن أجعل  
دوراً تناسبني .. بدأت محاولاتي في أن أجعل نفسي  
مناسباً لدوراً .. ولهذا فقد بدأتأشعر ببعض  
السعادة .

وما ان انقضى العام الثاني على زواجنا ، بدأت  
الاحظ ان دوراً أصبحت معتلة من الناحية الصحية ..  
وكلت امل في ان ترزق بطفل ربما س يجعلها تنظر الى  
الحياة نظرة اكثر جدية .

ولكن هذا الأمل لم يتحقق وازدادت صحتها  
سوءاً .. وكنت قد اعتدت في الأيام الأخيرة أن أحمل  
دوراً على ذراعي وانزل بها إلى الطابق السفلي كل  
صباح .. ثم أحملها مرة أخرى وأصعد بها إلى الطابق  
العلوي كل مساء .. ولاحظت أنها كانت تزداد خفة  
في الوزن يوماً بعد يوم .

فنى انى افعل ذلك بقصد التأثير على عقلها ، فبدأت  
تخشى مثل هذه الموضوعات .. وازدادت كراهيتها  
لشيكسبيير !

و قضيت في مثل هذه المحاولات عدة شهور ..  
ولكن يبدو أن تطوير عقل دوراً لم يحقق أى قدر من  
النجاح .. ومع ذلك فقد تخيلت انى قد حلت بعض  
النجاح في ذلك ، فاشترت لها حلبة ثمينة على شكل  
حلق لأننيها وقلت لها وانا اقيم هديتي :

- انى اخشى انتا لم نكن متوابين مع بعضنا  
طوال الأشهر الماضية .. وأخشى انتا لم نقضى سوياً  
أوقاتاً طيبة .. والحقيقة يادوراً .. انى كنت احاول  
ان اكون حكينا ..

فقالت :

- وكانت تحاول في الوقت نفسه ان تجعلني  
حكيمة اليس كذلك ؟ !

فأومأت برأسى .. وقالت ببساطة :

وكانت عمتي تقول لها كل ليلة :

- تصبحى على خير .. ايتها الزهرة الصغيرة !  
ولكن مرض الزهرة الصغيرة أخذ يشتد أسبوعا  
وراء أسبوع .. حتى كلبها جيب أصبح يبدو مثل كلب  
عجز محطط ..

رقدت دورا على السرير .. جميلة كما كانت تبدو  
دائما .. وعلت وجهها ابتسامة رائعة طيبة .. ولم  
تصدر منها أية شكوى .. ولم تطلب منا أى طلب ..  
وقالت لنا أنها مرتاحه لأننا كنا جميعا طيبين معها ..  
جلست بجوار سريرها في الضوء الخافت ..  
وكان وجه زوجتي الطفلة متوجه نحوى .. وكانت  
أصابعها ترقد ساكنة في يدى نـ وماتت ١١

## الجزء السادس

### التسوية ..

## ٣٩ - مسْتَرْ مِيكَاوِيرْ يَعْتَرِفُ

استلمت رسالة غريبة من مسْتَرْ مِيكَاوِيرْ يقول  
فيها :

«انتهى سلامي .. وتحطم قدرتى على المتعة  
والسرور .. وذابت الزهرة ! »

قرأت الرسالة عدة مرات محاولاً فهمها . ولكن  
لم أفهم منها شيئاً ، برغم يقيني أنها أكثر أهمية من  
جميع الرسائل التي أرسلها لى مسْتَرْ مِيكَاوِيرْ من  
قبل .



هل أحببت الاعمال القانونية يا مISTER ميكابر ؟

٢٧٩

وبعد عدة دقائق استلمت رسالة اخرى من مسر ميكابر تقول فيها :

« لم يعد مISTER ميكابر كما كان من قبل .. انه يقول انه قد باع نفسه للشيطان .. ويقول انه يريد الانفصال عنى .. اعتقاد ان هناك سررا وراء هذا السلوك الغريب .. ارجوك أن تلقاءه وتتحدث معه ! »

وعلى الفور أرسلت رسالة الى مسر ميكابر لأطمئنها ، كما رتبت موعدا للقاء مISTER ميكابر في بيت عمتى ..

وعندما وصل لاحظت انه في حالة معنوية سيئة ..  
فقلت له موساسيا :

– أرجو الا تكون قد بدأت تكره الاعمال القانونية ..  
فلم يجب بشيء وظل صامتا .. فسألته :

– كيف حال صديقنا يورياه هيب ؟ ..

فأجاب :

– ان كنت تسأل عنه باعتباره صديقا لك فانا اسف

٢٧٨

لذلك .. أما إذا كنت تسأل عنه باعتباره صديقي فهذا شيء مضحك .. أني لا أريد أن أتحدث عن هذا الرجل .  
ان موتي وحده هو الخلاص من كل شيء !

فقالت عمتى :

- أرجو أن تكون زوجتك وابناؤك في حالة طيبة ..
- انهم جميعاً بخير يا سيدتي ! .. ولكنني أنا وحدى - لست بخير .. وأشعر باليأس ..

فقلت أطمنته وإلهته على الأفاضة بما صدره :

- تكلم يا ماستر ميكابير .. إنك الآن مع أصدقاء صادقين .. ماذا في الأمر ؟ ..

وانفجر مستر ميكابير في الكلام :

- ماذا في الأمر ؟ .. إن الشيطان هو الأمر ..  
ان الاعمال السيئة الدنيئة هي الأمر .. ان السرقة والغش والخديعة هي الأمر .. ان السبب المباشر في كل هذه الأشياء المنعطة هو يورياه هيب .. الآن قد

انتهى الصراع من أجل الحياة .. ولن أعيش مثل هذه الحياة مرة أخرى أريد أن استعيد حياثي الطيبة مع زوجتي ومع اسرتي .. وقد أليت على نفسي أن أحطم هذا المخلوق المدعو هيب إلى قطع صغيرة .. سأدمره تماماً .. وموعدنا في مثل هذا الوقت من الأسبوع القادم في الفندق الصغير بakantribri .. أخبر الجميع بذلك .. سئلتني هناك كلنا .. سانصرف الآن .. وإلى اللقاء !!

وخرج من البيت وهو يجرى .. أني لم أر في حياتي اضطراباً مثل الاختطاف الذي كان يعنيه هذا الرجل عندما كان يلقى على مسامعنا هذا الكلام الغريب ..

وبعد دقائق قليلة وصلتني منه رسالة يبدو أنه كتبها في الحانة المجاورة .. يقول فيها :

· سيدى ..

أني اعتذر عما بدر مني من اضطراب شديد ..

مرضا على السرير .. ولكن مس آجنس ويكفيلد  
مسروورة لرؤية اصدقائها القدامى ..  
وفتح بابا يؤدى الى غرفة الاستقبال . وقال بطريقه  
حادة :

— مس تروتوود .. مسٽر داڦید کوپرفيلڈ ..  
مسٽر ديلک ..

ولاحظت على الفور أن زيارتنا المفاجئة هذه قد أدهشت يورياه هيب كثيراً .. ولكنه سرعان ما استعاد قدرته على التظاهر بالتواضع كالمعتاد .. وقال بطريقته المعروفة :

ـ هذا سرور لم اكن اتوقعه اطلالاً .. لقد تغيرت  
الأحوال في هذا المكتب يامس ترتووود منذ زيارتك  
السابقة .. حين كنت مجرد كاتب متواضع ..

وجاءت آجنس .. وكانت تبدو قلقة ومتعبة  
وطل يورياد هيب يتبعها بعينيه وهى ترحب بنا .. ثم  
نظر إلى مستر ميكاويرو وقال له :

ولعلى اكون قد اوضحت تماماً ان موعدنا فى الاسبوع  
القادم فى « حانة السفينة » فى كانتربرى  
• ويلكتز ميكابير •

انقضى أسبوع وحل موعد اللقاء . . . فذهبت أنا وعمتي ومستر ديك إلى «حانة السفينة» في كانتربيري . . . واستلمتنا رسالة كانت في انتظارنا يقول فيها مستر ميكاوا : **«**

«انتظروني في الساعة التاسعة والنصف من صباح الغد في مكتب «ويكفيلد وهيب» ..

وذهبنا الى المكتب فى الموعد المحدد ٠٠ ووجدنا  
مستر ميكابير جالسا على مكتبه ويكتب ٠٠ أو ربما  
يتظاهر بأنه يكتب شيئا ٠٠ فقلت له :

- کیف حالک یا مسٹر میکاوبیر ۰۰ ۹

فقال بصوت حزين :

- مسٹر کویرفیلڈ ۰۰ ان مستر ویکفیلڈ پرقد

ولكنى اخذتك ياكوبيرفيلد .. ان هذا اللقاء سيعكون  
بلا طائل .. انذا نفهم بعضنا جيدا .. ونكره بعضنا  
 تماما .. والآن .. انصرف ياميكابير .. وستتحدث  
في ذلك فيما بعد .. !

وفي هذه اللحظة وصل صديقى ترادلز وكان  
يصطحب معه مسرز هيب . فسألته يورييه :

ـ من أنت .. ؟

فأجاب ترادلز :

ـ أنا صديق لستر ويكتيلد .. وعندي السلطة  
لكى اتحدى باسمه !  
وهنا تدخلت مسرز هيب قائلة :

ـ يورييه !

فأجاب يورييه نداء امه بصوت يغلو من الادب :

ـ اسكنى !

وفى الحال وقف مستر ميكابير ، وأمسك فى يده  
ورقة كبيرة الحجم ، وبينما يقرأ ما فيها :

ـ لماذا تنتظر هنا .. هيا اخرج الى مكتبك ..  
الا تسمعني .. قلت لك اخرج من هنا ..

فقال مستر ميكابير :

ـ حاضر !

ولكنه لم يتحرك من مكانه .. فقال يورييه بحدة :

ـ قلت لك اخرج .. ماذا تريد هنا ؟

فقال مستر ميكابير بكل ثبات :

ـ اريد ان اخبرهم بأنه اذا كان هناك وغد واحد  
فى هذا العالم .. فان اسم هذا الوغد هو يورييه  
ميب !!

وخاص يورييه فى مقدمه كما لو كان قد تلقى ضربة  
قوية على رأسه .. وشجب لون وجهه .. ولكن تماسك  
وقال :

ـ هي مؤامرة اذن ياكوبيرفيلد .. لقد رتبت امر  
هذا اللقاء بعد ان البت على موظف صفير عندي ..

ووجدت أن جميع الخدمات التي يطلبها هيئ مهني هي الاستمرار في خداع مستر ويكتيفيلد بكل طريقة .

وتوقف مستر ميكاويير عن القراءة لحظة قصيرة ليرى أثر ما قاله على السامعين . ثم استمر بعد ذلك في القراءة :

كان يفشل مستر ويكتيفيلد بكل الطرق الممكنة في نفس الوقت الذي كان يدعى فيه أن مستر ويكتيفيلد هو صاحب الفضل الأول عليه ويتظاهر بأنه أعز صديق له . وأخيراً تغير قلبي واستيقظ ضميري لأجل خاطر مستر ويكتيفيلد . وبدأت أراقب ما يفعله هيئ بطريقة سرية . وعرفت أن هيئ كان يحصل على توقيع مستر ويكتيفيلد على بعض الأوراق والمستندات المهمة ، مدعياً أنها أوراق عديمة الأهمية . بل لقد جعل مستر ويكتيفيلد يسحب مبلغ ألف ومائتي جنيه من حسابات بعض العملاء المودعة عنده بعد أن أدعى أنها مصاريف اتفقت في بعض الأغراض . وجعل الأمر يبدو كما لو كان مستر ويكتيفيلد قد سحب هذا المبلغ لنفسه .

« جميع أعمال مكتب ( ويكتيفيلد وهيب ) يقوم بها هيئ .. وهيب هذا مجرد لص .. »

اندفع يورياد هيب نحوه مسرعاً ، وحاول أن يخطف منه الورقة التي كان يقرأها . ولكن مستر ميكاويير ضربه على يده . فسقطت يده إلى جانبه كما لو كانت مكسورة . وصاح به هيئ :

ـ فليأخذك الشيطان !

فرد عليه مستر ميكاويير قائلاً :

ـ اذا افترضت مني مرة أخرى فسوف اكسر عنقك !

وعاد مستر ميكاويير القراءة :

« كان يدفع لي أجرا ثابتاً عبارة عن اثنين وعشرين شلنًا كل أسبوع .. أما بقية الأجر فكان يحده حسب ما أقوم به من عمل .. أو بمعنى آخر حسب ما أقوم به من أعمال سيئة خاطئة كان يحتاجها ويأمرني بادانها لخدمة أغراضه في الفسق والخداع .. وكان يفترضني النقود حتى أصبحت واقعا تماما تحت سيطرته . وقد

ـ . وعرفت أيضاً أن هيب كان في أحيان كثيرة يقوم بتزوير وتغيير بعض البيانات المدونة في دفاتر الحسابات . . وعرفت كذلك أنه جعل ماستر ويكتيلد يقع على مستند يثبت زوراً أنه افترض مبلغاً كبيراً من هيب ، في حين أن ماستر ويكتيلد لم يحصل على أي قرض منه . . هذا بالإضافة بأن لدى ورقة ثبت محارلات هيب في تقليد وتزوير التوقيع الخاص بماستر ويكتيلد .

قام هيب ، وأخذ مفاتيحه . وفتح دولاباً معيناً . نظر بداخله ، ثم أغلقه ، واتجه نحونا مرة أخرى وهو يشعر بذل وانكسار . . فقالت أمه تستعطفه وتحاول اقناعه :

ـ . يورياه . . كن متواضعاً وقم بتسوية الأمر معهم . . لقد أخبرني ماستر ترادلز بأنه عرف جميع هذه الأشياء ولديه كل المستندات . . ووعده باشك ستكون متواضعاً وسترد إليهم أموالهم . .

واستمر ماستر ميكابير في القراءة :

ـ . . . واستطاع أن أثبت أن هيب قد أجبر ماستر

وبهذه الطريقة الشيطانية سيطر تماماً على ماستر ويكتيلد وجعله طبعاً يقبل كل شيء يراه . . .

وهب يورياه هيب موجهاً حديثه إلى :

ـ . إنك لن تستطيع إثبات ذلك ياكيوبريفيلد !

واستمر ماستر ميكابير في القراءة :

ـ . . . كنت أعيش في نفس المسكن الذي كان يعيش فيه هيب وتركه . . وهناك عثرت على بقايا دفتر صغير كان قد أحرقه ولكن بقيت منه بعض أجزاء لم تصل إليها النار . . .

وهنا صاحت ممز هيب مولولة :

ـ . يورياه . . يورياه . . كن متواضعاً . . . وحاول أن تصل إلى تسوية هذا الأمر معهم !

فصاح بها يورياه :

ـ . أمي . . هل يمكنك أن تلزمي الصمت ؟ !

واستمر ماستر ميكابير في القراءة :

قال مISTER ميكابير :

- لقد أخذتها أنا ..

وقال ترايلز :

- وهي عندي أنا ..

وفجأة هبت عمتى واقفة ، راتجهت نحو يوريه ،  
وامسكت بتلابيبه ، وصاحت في وجهه :

- هل تعرف ماذا أريد ؟ .. أريد نقودي .. أريد  
أن تعيد إلى أموالي !

ثم التفت عمتى نحو أجنس وقالت :

- أجنس يا عزيزتي .. عندما خدعت وقيل لي أني  
فقدت أموالي بسبب يرجع إلى مISTER ويكليل ، فاني  
لم أقل شيئاً ولا نطق بكلمة .. ولكن الآن عرفنا أن  
هذا الشخص هو الذي استولى على أموالي .. وسوف  
استردها منه !

وارتدى يوريه على مقعده ، وقال مستسلماً :

ويكيل حتى يصبح شريكًا له في المكتب .. ووعده بأن  
يدفع له مبلغاً معيناً كل عام .. ثم أخذ يقرض مISTER  
ويكيل بعض النقود .. وهذه النقود هي نقود مISTER  
ويكيل بكل تأكيد .. وبهذه الطريقة وضع مISTER  
ويكيل تحت سيطرته ..

وأنا أتمهد بآن أثبت صدق جميع هذه المفاصيل ..  
وبعد هذا فان على أنا وأسرتي التعيسة أن نختفي من  
على وجه هذه الأرض التي فشلنا فيها ، ولم نستطع أن  
نخدم أى هدف مفيد ! ..

وبعد أن انتهت مISTER ميكابير من القراءة ، طوى  
الورقة التي يقرأ منها وأعطها لعمتى ..

وكانت هناك خزينة حديدية ضخمة قابعة في ركن  
الغرفة ، فقام يوريه هبب وفتحها وفوجئ بأنها خالية  
 تماماً فصاح :

- أين دفاتر الحسابات .. لابد أن أحد اللصوص  
قد سرقها ..

اندفع مستر ميكابير الى داخل البيت ، وارتمى  
بين ذراعي زوجته وهو يحتضنها بقوة ويصيح :  
- ايما .. لقد زالت الغمامه .. وارتاح عقلى  
وضميرى .. والآن مرحبا بالجوع .. ومرحبا بالثياب  
الرثة والهلاميل .. ان ثقتنا فى بعضنا ستنتسر  
إلى النهاية !!

وقالت عمتي :

- مستر ميكابير .. انى اتعجب لماذا لا تترك  
انجلترا وتذهب الى ارض جديدة اخرى .. الى استراليا  
مثلا .. !

قال مستر ميكابير :

- منذ مدة طويلة وانا احلم بذلك ( وانا على يقين  
من ان مستر ميكابير لم يفكر في مثل هذا الموضوع  
من قبل ) .. ولكن هناك بعض الصعوبات ..

وقالت عمتي :

- النقود ؟ .. لقد اديت لنا خدمة عظيمة .. ومن  
واجبنا ان نتكلف بالنقود المطلوبة .. !

- وماذا تريدون ان افعل ؟

قال ترادلز :

- ستوقع على مستند بالتنازل عن كل شيء لي ..  
وادا لم توقع على هذا المستند ، فسوف يكون مصيرك  
إلى السجن ..

وهنا قامت مسر هيب باستعطاف الجنس لكي  
تساعدهما وان تكون رحيمه بهما . فقال يورياه :

- امهاء .. توافق عن هذا الضجيج !!

ثم التفت الى ترادلز وقال :

- اين هو المستند ؟ .. ساقع عليه .. !!

\* \* \*

اعترفنا جميعا بفضل مستر ميكابير وصنعيه  
الجميل الرائع .. وكنا شغوفين بأن نوجه الشكر اليه ..  
ولذلك فقد ذهبنا معه الى بيته .. وكان مدخل البيت  
الذى يطل على الشارع هو نفسه المدخل الى غرفة  
الجلوس ..

- انى لا استطيع ان أخذ هذه النقود كهبة ..  
ولكن يمكنكم ان تقرضونى اياماً ..

- طبعاً .. طبعاً ..

وهنا تسأله مسر ميكابر :

- في بلد مثل استراليا .. هل يستطيع رجل له  
مزايا وقدرات مسـتر مـيكـاـبـير أن يجد فرصة للنهوض  
بمستواه ومستوانـا .. انى لا أتوقع أن يصبح حاكماً  
لاستراليا .. ولكن اتسـاؤـل هل يـجـدـ الفـرـصـ التي  
تناسب مواهـبـه ..؟!

فـاقـالتـ عـمـىـ :

- ليس هناك مكان أفضل من استراليا .. في  
توفير فرص النجاح أمام مـسـترـ مـيكـاـبـيرـ !  
وخرجنا .. وخرج مـسـترـ مـيكـاـبـيرـ معـنـا .. وبينما  
كـانـ نـجـتـازـ سـاحـةـ السـوقـ .. لـاحـظـتـ أـنـ مـسـترـ مـيكـاـبـيرـ  
قد تـقـعـصـ شـخـصـيـةـ مـازـارـعـ استـرـالـىـ .. وأـخـذـ يـنـحـصـ  
قطـعـانـ الأـغـنـامـ بـعـينـ خـبـيرـةـ ..

## ٤ - نهاية هيب

ذنبـاـ اـنـاـ وـعـمـىـ وـاجـنسـ الـىـ كـانـتـرـبـرـىـ لـنـسـرـفـ  
نـتـائـجـ التـصـفـيـةـ الـىـ قـامـ بـهـاـ تـرـادـلـزـ لـأـعـمـالـ مـكـبـرـ  
.. وـيـكـيـلـدـ وـهـيـبـ .. وـكـانـتـ عـمـىـ تـبـدوـ فـيـ حـالـةـ غـيـرـ  
طـبـيـةـ .. كـانـتـ شـاحـبـةـ الـوـجـهـ الـذـىـ ظـهـرـ فـيـ خطـوـتـهـ  
حزـنـ عـيـقـةـ .. وـكـانـتـ تـبـكـىـ فـيـ بـعـضـ الـاحـيـانـ ..  
وـتـحاـولـ أـنـ تـخـفـىـ دـمـوعـهـ بـيـدـهـ ..

وـعـنـدـمـاـ اـجـتـمـعـنـاـ مـعـ تـرـادـلـزـ .. قـالـ بـجـيـةـ :

- لـقـدـ تـحـسـنـتـ أـحـوالـ مـسـترـ وـيـكـيـلـدـ .. وـأـصـبـعـ  
الـآنـ قـادـرـاـ عـلـىـ الـمسـاعـدـ .. بلـ سـاعـدـنـاـ بـالـفـعلـ فـيـ

ثم التفتت اليها وقالت :

- عندما أبلغت باني قد خسرت كل اموالى  
ظننت فى البداية ان مسمر ويكفيل قد استخدمها  
 وخسرها .. ثم خدعنى يورياه هيب وأرسل الى رسالة  
 يقول فيها ان مسمر ويكفيل لص .. وانه هو الذى  
 استولى على اموالى .. فذهبت اليه وزرته ذات  
 صباح .. واحرق ترسانته امامه .. وقلت له اذا كان  
 بوسعه ان يضع الأمور فى نصابها السليم فليفعل ،  
 والا فعليه ان يلزم الصمت !

وبعد لحظة ، تساءلت عمنى :

- وماذا حصل بالنسبة لهيب ..  
- لا اعرف .. فقد اختفى ..  
- والآن .. ماذا ستفعل بالنسبة لمسمر  
ميكابير !

قال ترايلز :

- في الحقيقة ان مسمر ميكابير يستحق الكثير

ايصال الكثير من البيانات المدونة بالدفاتر .. وقد  
انتهينا الان من وضع كل شيء فى نصابه السليم ..  
وخلصنا الى كل النتائج .. فبالنسبة الى موقف مسمر  
ويكفيل فهو غير مدین لأحد .. وتبقت له بعض مئات  
من الجنيهات يستطيع ان يواصل بها حياته .. أملا  
بالنسبة لمس تروتوود .. ففاطعته عمقى ؟

- لو كنت قد خسرت جميع اموالى ، فانى استطيع  
ان أتحمل ذلك .. واما حدث العكس فسوف أكون  
مسرورة باستردادها ..

- لم نجد سوى خمسة .. .. ..

- خمسة جنيهات .. او خمسة الاف ؟

قال ترايلز :

- خمسة الاف جنيه ..

قالت عمنى فرحة :

- هي كل النقود اذن ..

٢٩٦

**فقال مسمر ميكاويبر :**

- أبدا .. لن أفعل ذلك .. وسوف أكتب هذا  
القسم على صفحة بيضاء في حياتي المستقبلة ..  
وسيجعل ابني ويلكينز يتذكر دائماً أن من الأفضل له  
أن يضع يده في النار ، ولا يمدّها إلى هذه المخلوقات ..  
هؤلاء الذين يقرضون النقود .. هؤلاء الذين سمعوا  
من أبيه التعيس ..

من الشكر والثناء .. لقد كان في وسعه أن يحصل  
من يورياد هيب على مبلغ كبير من المال مقابل سكوته ..  
وقد وجدت أنه مدين بمبلغ مائة وثلاثة جنيهات وخمسة  
شلنات ..

**فقالت عمتى موجهة حديثها إلى أجنس :**

- أجنس يا عزيزتي .. ماذا سنعطيه ؟ .. هل  
نعطيه خمسمائة جنيه ؟ .. !

**فقال ترادلز :**

- اعتقد أن من الأفضل أن نشتري له تذاكر السفر  
إلى استراليا بالإضافة إلى مبلغ صغير لقططية نفقاته ..  
واستدعيانا مسمر ومسن ميكاويبر إلى الحجرة ..  
وأخبرتهمما عمتى بما قررناه ..

**وقلت مسمر ميكاويبر :**

- والآن أريد أن انصحك .. لاتدع أحداً يفرضك  
نقداً مرة أخرى !

واشت دليد السماء بالقيوم والسحب .. بل  
وأخذت السحب المتطايرة تترافق فوق بعضها كالجبال  
الشامة .. وكان القمر يبدو أحيانا من بين فرجات  
السحب وكأنه قد فقد طريقه وتأه وأصابه خروف  
عازم ..

اما الرياح فقد أخذ مبوبها يشد ويعنف لحظة بعد  
آخر .. وكانت تحدث أصواتا غريبة ومغيبة احاطت  
بكل شيء ..

وكثما اوغل الليل كلما تكاثفت اطياق الظلام ..  
وتراكتت جبال السحب وغطت السماء كلها واختفى  
وجه القمر ..

وحينما اشت دليد الرياح أصبحت الخيل لاتقوى  
على جر العربة .. وكانت تثير رؤوسها لتتجنب  
صفعات الرياح .. بل وكانت تتوقف في أحيانا كثيرة  
دون أن تقوى على مواصلة السير .. وأصبحنا نخشى  
أن تقلب بنا العربة ..

وبالرغم من بداية ظهور تباشير الصباح ، الا ان

## ٤٤ - العاصفة

كنا في بداية المساء حين ركبت احدى العربات  
انذا طريقى الى يارموث . وقت لسانق العربة وانا  
اتأمل السماء :

- الا تعتقد ان الجو غريب جدا ؟ .. لا اتذكر انى  
شاهدت جوا مثل هذا من قبل ..

فقال سائق العربة :

- ولا انا يا سيدى .. فهذا الجو ينذر بهبوب  
 العاصفة شديدة .. وبالطبع سينتظر البحر ويعيجه  
وستحدث بعض الحوادث ..

هدير الأمواج الصاخبة .. وهي تعلو فوق الشاطئ  
كما لو كانت أبراًجا أو بنايات مرتفعة .

ورتبت إقامتي بفندق صغير قديم .. ثم خرجت  
متوجهًا صوب الشاطئ .. وهناك رأيت نصف سكان  
المدينة مجتمعين .. وكثيراً من النساء كن ي يكنّ بسبب  
عدم ظهور قوارب الصيد التي يعمل عليها أزواجهن  
ي الداخل البحر .. وكان قادمي البحارة يهزون رؤوسهم  
في يأس وهم يتذمرون إلى كل من البحر والسماء ..  
وكان ملاك السفن والقوارب ينظرون صوب البحر  
وقد عصف بهم الاضطراب والقلق ..

وكاد الحصى والرمال المتطايرة أن يعمي عيني ..  
وكاد هدير الموج أن يضم إبني .. وكاد البحر أن يخرج  
من شاطئه ليبتلع المدينة بمِنْ فيها .. وفجأة أشار أحد  
الملahين .. ورأيت .. وبالهول مارأيت .. رأيت سفينة  
تحطم والأمواج تهاجمها من كل جانب !

كان أحد صوارى السفينة قد تحطم ولكنه بازالت  
متعلقاً بجانب السفينة ويختبئ فيها بقوة .. ورأيت

الرياح واصلت هبوبها العنيف وأصبحت أقوى من ذى  
قبل .. لقد رأيت عواصف كثيرة ولكن لم أشاهد  
عواصفة مثل هذه ..

وصلنا متآخرين جداً إلى ابسويش بعد أن صارعنا  
الرياح طوال رحلة مرهقة .. ورأينا الناس قد تجمعوا  
في ساحة السوق بعد أن غادروا بيوتهم خوفاً من سقوط  
المدخن .. وبينما كان سائق العربة يستبدل الخيل بخيel  
آخر .. سمعت الكثير من أخبار أسقف البيوت التي  
تطايرت وتحطمـت .. والأشجار الكبيرة والصغيرة التي  
افتلتت وسقطت على الأرض ..

وواصلنا الرحلة وسط هذه العاصفة العنيفة ..  
والتي كانت تزداد عنفاً وتدمرنا كلما مر الوقت واقتربنا  
من ساحل البحر الذي تهب منه كل هذه الرياح الثائرة ..  
وبالرغم من اتنا كنا لم نزل بعيدين عن الساحل بمسافة  
طويلة .. الا اتنا احسستنا بملح البحر فوق شفاهنا ..  
وانهمر مطر من الماء المالح فوق رؤوسنا ..  
وعندما لاح لنا ساحل البحر أخيراً .. سمعنا

بعض الرجال على ظهر السفينة وهم يحاولون فصل  
الصارى عن السفينة والقاءه في البحر .. ورأيت  
بينهم رجلاً مجدد الشعر ..

وفجأة سمعت صرفة مدوية اطلقها كل المجمعين  
على الشاطئ .. صرفة غلت على مدير الموج وزنير  
الرياح .. لقد طفى البحر على حطام السفينة ، وقدف  
بالصارى وبكل ما عليها من أشياء ومن عليها من  
الرجال .. في المياه الثائرة بكل عنف .. والتي كانت  
تبعد كما لو كانت تغور وتقل ..

وعندما انزاح الموج عن الحطام ، رأينا السفينة  
وقد انكسرت في منتصفها .. ورأينا أربعة من الرجال  
مازالوا متعلقين بالصارى الثاني الذي ظل يتارجح  
ويعلو ويهبط مع كل موجة .. ورأيت بين الرجال الأربعة  
الرجل المجدد الشعر ..

وكان هناك جرس مازال معلقاً بالجزء المتبقى من  
حطام السفينة .. وكان يدق بعنف واضطراب كلما  
مبت موجة تقرب الحطام من الشاطئ ، وكلما انزاحت

موجة تبعد الحطام إلى داخل البحر .. كان دق الجرس  
أشبه بتذير الموت لهؤلاء الرجال التمساء الذين ما زالوا  
يكافرون ويحاولون التمسك بالحياة ..

وذهبت موجة عاتية وغطت الحطام كله .. ثم  
انزاحت بعد أن أخذت معها اثنين من الرجال الأربع ..  
فصرخ كل المجمعين على الشاطئ ووللوا .. وادرات  
النساء وجوههن وهن يصرخن ويبكين .. كما أخذ بعض  
الرجال يجررون ذهاباً وجيئة على الشاطئ .. وهم  
يصرخون لطلب المساعدة .. ولكن آية مساعدة تلك  
التي يمكن أن يقدمها أحد في مثل هذه الأحوال ؟ !

كان من المستحيل تماماً أن يرسل أي قارب  
للنجدة .. وكان من الجنون أن يسبح أحد ومعه جبل  
ليوصله بين الحطام والشاطئ .. ومع ذلك فقد رأيت  
بعض الرجال يستعدون لعمل شيء .. وكان هام في  
مقدمتهم ..

رأيت في وجهه مزيجاً من ملامح الحزن وملامح  
التصميم والعزّم .. وفهمت أنه مقبل على مواجهة

الشكل ظل يلوح به كما لو كان يتسلللينا لنجدته ..  
وقد ذكرني هذا الكتاب الأحمر بصديق قديم كان يرتدي  
مثله ..

نظر هام الى البحر .. وعندما انحسرت موجة  
كبيرة عاتية ، أخذ يجرى وراءها .. وفي لحظة واحدة  
اصبح هام يصارع الأمواج .. يعلو فوق قممها ويهبط  
مع وديانها .. ثم قذفته موجة قوية نحو الشاطئ ،  
تجذبه الرجال نحو الرمال ..

كان من الواضح أنه أصيب .. ورأيت الدماء  
تقطي وجهه .. ولكنه لم يهتم بذلك بل وطلب من الرجال  
أن يرخوا الحبل ليتيحوا له مزيداً من الحرية للتوغل  
إلى داخل البحر حتى يصل إلى الحطام لينقذ الرجل ..  
ثم قذف نفسه بين أحضان الموج مرة أخرى ..

أخذ يسبح نحو الحطام بكل قواه .. وكنا نراه  
يعلو ويهبط مع حركة الموج .. وما كاد أن يصل إلى  
موقع الحطام ويمسك به ، حتى رأينا موجة خضراء  
عالية كالجبل ، جاءت من خلف الحطام وارتقت

أخطار قد يلقى فيها حتفه .. لذلك فقد اندفعت إليه  
واحاطته بذراعي لكنه منعنى من الاقدام على تلك  
المخاطرة .. وتسللت إلى الرجال المجتمعين حوله  
وحوله أن يمنعوه من مغادرة الشاطئ ..

ثم ارتفعت صرخة عالية ، فنظرت صوب الحطام ،  
فرأيت جزءاً من الشراع قد هوى وسقط في البحر ،  
أخذوا معه واحداً من الرجلين الباقيين .. وهكذا لم  
يصبح على الحطام الآن سوى رجل واحد مازال متثبتاً  
ببقياه الصارى ..

وهنا قال لي هام متосلاً :

- مستر دافيد .. لو كان عمرى قد انتهى فهو  
قدري المكتوب .. لبيارك الله .. دعني أذهب  
وأحضرروا له حبلاً طويلاً ، ربط أوله حول خصره ..  
وكان الحطام يعلو فوق قمم جبال الموج ، ويهبط  
بعنف إلى وديانها .. وكان الرجل الباقى عليه مازال  
متثبتاً بالصارى .. وكان يرتدى كاباً أحمر غريب

فوقه .. وفي لمح البصر غاص المطام في اعماق  
البحر .

تكتاف الرجال وأخذوا يسحبون العجل .. وفي  
لحظات وصل هام مسموعيا إلى الشاطئ .. وكان جثة  
هامدة .. لقد لطمته الموجة الخضراء بضررية قاتلة  
أطاحت بعياتوبكل الشجاعة التي كانت تملأ قلبه ..  
وحملناه إلى منزل قريب وبقيت إلى جواره ، وعلقني  
مفعم بكل الذكريات التي عرفتها عن هذا الرجل الطيب  
الشجاع .

وبينما كنت جالسا بجوار سرير هذا الفقيد  
العزيز ، سمعت طرقا على الباب ، ودخل أحد الصيادين  
يتأذنني باسمى :

ـ مستر كوبر فيلد .. هل يمكن أن تحضر معن ؟  
وأحسست أن مصيبة أخرى قد وقعت واستندت  
إلى ذراع الرجل وسالتله بصوت ضعيف وحزين :

ـ هل لفظ البحر جثة أخرى ..

ـ نعم يا سيدي ..

ـ وهل هي لشخص أعرفه ..

ولم يجب الرجل بكلمة .. وقادني متناسيا نحو  
الشاطئ حتى وصلنا إلى نفس المكان الذي كنا - أنا  
واميلى - نجمع فيه الواقع .. ومناك بين اطلال  
البيت القديم الذي أنساه إلى أهله ، رأيته مددا على  
الأرض ، ورأسه مسنودة على ذراعه .. تماما مثلما  
كان يفعل أيام المدرسة .. كانت الجثة لصديقي  
القديم .. ستيرفورث !!

وطافت بخاطري ذكرى آخر لقاء معه .. وتنكّرت  
بوضوح آخر كلماته : « اذا فرقت بيننا الظروف ..  
فارجو ان تذكر حسناتى ! » .

وهذا ماسوف أحافظ عليه إلى الأبد ..

فهمست بصوت حزين :

— لقد مات !!

فصاحت الأم :

— روزا .. الحسينى !

ـ فلحقتها روزا على الفور .. ولكن بدون شفقة ولا رحمة .. وكانت عيناهما تتوجهان بشرر كالنار ، وصرخت فيها قائلة :

ـ والآن .. هل ارتحت .. هل ارضيتك غرورك وفخرك بابنك .. ايتها المرأة المجنونة ! .. ارتمت مسز ستيرفورث على مقدمها تعمق فيها بعينين مفترحتين عن آخرهما .. وواصلت مس دارتل صراخها الملائع ، وهى تدق بيديها على صدرها ، وتشير الى نوبة الجرح الظاهرة فى وجهها :

ـ انظري ماذا فعله ابنك فى وجهى .. ثم نوحى بعد ذلك وولولى .. ايتها الأم الفخورة بولدها

## ٢٤ — ابلاغ الخبر الى مسز ستيرفورث

وصلت قرب الظهر الى هاى جيت . وفتحت لى خادمة صفيرة باب البيت . سالتها :

ـ انى احمل اخبارا سينة الى مسز ستيرفورث .. هل هي موجودة الان ؟ ..

فى هذه اللحظة كانت الأم موجودة فى غرفة ابنتها .. وبجانبها كانت تقف روزا دارتل . وتساءلت الأم فى قلق :

ـ هل هو مريض ؟ .. هل رأيته ؟ .. هل عدتها اصدقاء كما كنتما من قبل ؟ ..

ولكن ممز مثيرفوريث كانت جالسة على مقعدها دون حركة .. . كانت جامدة كتمثال نحت من الحجر .. . وبسادات من روزا دارتل تلك بعض الأذى وتختلف أربطة ملابس الأم لتساعدها على التنفس .. . والثالثة إلى وصرخت في وجهي :

- عليه اللعنة .. . كانت ساعة شر سوداء حين جئتني في هذا البيت .. . عليه اللعنة .. . ميا اخرج من هنا !! ..

واخذت ممز مثيرفوريث بين ذراعيها .. . تقبلها تارة ، وتناديهما باسمها تارة أخرى .. . وتحاول بكل طريقة ان تلبيتها من غشيتها .. . او تعيدها انفاس الحياة ..

الشرير ! .. . انت التي دفعته الى طريق الشر والخبياع .. . كنت احبه اكثر منك .. . احبه دون مقابل ودون امل او رجاء .. . وأحببته هو عندما كان بريئا وصادقا مع نفسه .. . وبعد ذلك اصبحت مجرد الموبية يلهو بها كلما وجد ساعة فراغ يريد أن يقضيها في اللذة والمتعمدة .. . كان يسحبني الى هنا او الى الطابق العلوى ويلهو بي وفق هواه .. . لقد اصبحت بالنسبة لاما انتما الاثنين مجرد شيء مكسور لافائدة فيه وعديم القيمة !!

قلت استعطفها واحاول ان اهدى روعها :

- من دارتل .. . ارجو ان تقدرى شعور وأحزان ام فقدت ابنها الوحيد .. .

صرخت قائلة :

- ومن ذا الذي يقدر شعورى وأحزانى ؟ .. .  
- ولكن فى مثل هذه اللحظة يجب ان تنسى كل الاساءات .. . يجب ان تتمدى يدك لمساعدة الأم الثكلى فى تحمل احزانها .. .

واستقبلنا مسٌٽر بيوجوٰى الذى كان يقف على سطح السفينة بجوار السور .. وقال لنا أن مسٌٽر ميكابر قد قبض عليه منذ لحظة للوفاء بدين لأحد الدائنين .. ولكنه استطاع أن يدفع مبلغ الدين فاطلق سراحه ..

وفي مكان منزوٰ قرٰيب على سطح السفينة لمحٰى امليٰ جالسة مع ابناء مسٌٽر ميكابر .. ورأيت أجنس تحبّيها وتودعها بقبلة ! .. كما رأيت مسٌٽر جاميدج وهي ترتب حاجيات مسٌٽر بيوجوٰى بمعاونة بعض الشابات الصغيرات ..

ونودى على كل المودعين والزوار بأن يفادروا السفينة بعد أن حل وقت الرحيل .. وقامت بتوديع المهاجرين الوداع الأخير .. وكانت بيوجوٰى تبكي وهي متعلقة بذراعي ..  
ونزلتنا إلى القارب الذى عاد بنا إلى الرصيف ..

### ٤٣ - وأقلعت السفينة

ذهبت أنا وببيوجوٰى - مريبيٰ العجوز المخلصة - إلى جريفسند لتوديع عائلة ميكابر المهاجرة إلى استراليا .. وكان مسٌٽر بيوجوٰى قد انتحر الهجرة أيضاً واستعد للرحيل على نفس السفينة ..

وعندما وصلنا إلى الرصيف ، رأيت أبناء مسٌٽر ميكابر وهو يتعلقون بذراعي أجنس حتى آخر لحظة .. وأخذنا قارباً صغيراً اتجهنا به صوب السفينة التي كانت تقف بعيدة عن الرصيف ..

وكانت أشعة الشمس الغاربة تنعكس في جمال رانع  
فوق صلعة المياه الهاينة ..

وساد الصمت لحظة .. ثم فرقت السفينة قلوعها  
واشرعتها في مواجهة الريح .. ويدات تتحرك ببطء  
صوب البحر الواسع المريض ..

## ٤٤ – الفصل الآخر

سافرت بعد ذلك في رحلة طويلة زرت فيها إيطاليا  
وفرنسا وسويسرا .. ثم عدت إلى الوطن ..

توجهت فوراً إلى بيت عمتى في دوفر حيث  
استقبلتني هي ومستر نيك وبيجوت التي أصبحت الآن  
مديرة للمنزل .. استقبلوني جميعاً بفرح عظيم والدموع  
ترافق في عيئتهم ..

وطللت اتحدث مع عمتى حتى الليل .. وفجأة  
سألتني عمي :  
– ومن ستسافر إلى كانتيررى ؟

فاجبتها :

- سأسافر صباح الفد ..!

وجلست صامتاً مستترقاً في التفكير العميق وأنا  
أحملق في نار الدفأة .. كنت أشعر بالأسف والحزن  
بسبب ماقضيته في معرفته والاحساس به والتتبه اليه  
في أيام صباي الماضية ..

وخيّل إلى أنني أسمع صوت عصبي وهي تعقب على  
قائلة :

- أوه ياتروت .. أنت أعمى .. أعمى ..  
أعمى ..

ثم قالت عصبي وكانها تفهم مشاعري وتحس بما  
يدور في نفسى وتقلبي :

- اذهب إليها .. ستجد إياها وقد خط المشيب شعر  
رأسه .. وستجدها جميلة متألقة .. كريمة غير أثانية  
كما كانت دائمًا ..!

فسألت عصبي متراجداً :

- هل لأجنبي ..  
ـ لها ماذا ..؟  
ـ عاشق يحبها ..؟

فصاحبت عصبي :

- لها عشرون .. كان في امكانيها أن تتزوج  
عشرين مرة !!

- ولكن هل بينهم عاشق جدير بها ويستحقها ..  
وهل هي تحب أحداً بعيشه ..؟

فقالت عصبي متنهدة :

- اعتذر أنها تحب واحداً بعيشه .. هي لم تخبرني  
بأى شيء عن حبها .. ولكنني اعتذر ذلك ..!

وفي الصباح الباكر وصلت إلى كافنبرى ..  
وفتحت لي الباب خادمة جديدة لاتعرفني .. قلت لها :

- أخبرى مس ويكفبلد ان خبيلها وصل ويريد ان  
يراما ..



أجنس و داليد .

· وبعد قليل فتح باب الحجرة ودخلت أجنس بكل جمالها ووداعنة عينيها · واتجهت ندوى وهي تضع يدها على قلبها من وقع المفاجأة · قلت لها :

- أجنس يا عزيزتي .. أرجو ان تكون مفاجأة طيبة لك ان تريني هنا ..

- انى فى غاية السرور لرؤيتك ياتروتورد !

وجلسنا جنبا الى جنب .. كانت صادقة كما كانت ابدا .. جميلة .. وطيبة .. وحاولت ان اشكراها على كل ماصنعته فى الماضى من اجلى .. وقلت لها فى النهاية :

- والآن يا أجنس .. اخبرينى عن نفسك ..

فقالت بهدوئها المعتاد :

- ماذا اخبرك به ؟ .. ان ابى فى حالة طيبة .. وما انت ترانا نعيش فى بيت ملكتنا ! .. يدرو اتنك تفك فى شىء ما ياتروتورد ..

وقلت لها :

- أجنس .. دعيني أقول الآن ما أفكر فيه .. لقد جئت لأخبرك بانى علمت انك تحببين شخصا ما .. وارجو الا تخفى عنى اى شيء يتعلق بسعادتك القريبة .. من هو ذلك الشخص .. اخبرينى باسمه اذا كنت مازلت تتفقين بي ..

وفجأة ، هبت أجنس واقفة وهي تخفي وجهها بيديهما وانفجرت في البكاء بدموع غزير فاض من عينيها .. وكاد قلبى أن يتعزق واتنا اسألها في حيرة ولووعة :

- أجنس ياعزيزيتن .. ماذا فعلت حتى تبكي هذا البكاء كله .. ١٩٠٠

فقالت وقد ازداد بكاؤها وانهصار الدموع من عينيها :

- أرجوك ياتروتووه .. دعني اذهب الان .. انى لست في حالة طيبة .. وسوف نتحدث عن ذلك فيما بعد ..

واخذتها بين ذراعى وهمسـت :

- أجنـس ياحبـى .. انت امـلى .. وانت خـير عـون فى حـياتـى ..

وارتاحت آجنـس على صـدرـى .. قـرـيبةـ من قـلـبـى .. ووضـعـتـ يـدـاهـ الرـقـيقـةـ على كـفـنـى .. وتـلـالـاتـ عـيـنـاهـا من وـرـاءـ الدـمـعـ بـنـظـرـاتـ حـلـوةـ حـنـونـ ..

وقـلـتـ لهاـ بكلـ الصـدقـ :

- في اى مكان كنت اذهب اليه ياـآجنـسـ كنت اشعر بـدـبـيبـ حـبـكـ في قـلـبـى .. لـقدـ سـافـرـتـ بـعـيـداـ لأنـى اـحـبـكـ .. وـعـدـتـ الآـنـ إـلـيـكـ لأنـى اـحـبـكـ اـكـثـرـ وـاـكـثـرـ ..

وـضـعـتـ كـلـتـاـ يـدـيـهاـ الرـقـيقـيـنـ على كـفـنـى .. وـنـظـرـتـ إلى بـوـجـهـاـ الـهـادـيـ الـجمـيلـ الرـائـقـ .. وـقـالـتـ :

- هناك شيء أريد أن أخبرك به ..

- ما هو ياحبيبي ؟ .. اخبريني !!

- لقد أحببتك طوال حياتي .. !!

